

الفصل الثاني

الحياة الدينية في دمشق في ظل الإدارة الحميدية

أولاً: أهم الطرق الصوفية ونشأتها: تعريف التصوف

أ- أولى الفرق الصوفية في الدولة العثمانية

ب- الطرق الصوفية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وتطورها في

الدولة العثمانية وهي:

١. الطريقة المولوية:

٢. الفرق الصوفية الجديدة (الكازرونية - الخلوتية - النقشبندية -

البيرامية).

• الطريقة البيرامية.

• الطريقة القادرية.

• الطريقة الخلوتية.

• الطريقة النقشبندية.

• الطريقة البكتاشية.

ج- الطرق الصوفية في مدينة دمشق في أواخر العهد العثماني:

١- أوضاع دمشق الدينية في تلك المرحلة:

٢- أهم الطرق الصوفية في دمشق:

١- الطريقة النقشبندية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).

٢- الطريقة الخلوتية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).

٣- الطريقة القادرية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).

- ٤- الطريقة المولوية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).
- ٥- الطريقة الرفاعية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).
- ٦- الطريقة الشاذلية (أسسها - أتباعها - زواياها - فروعها).

ثانياً - التكايا والزوايا والربط:

١- لمحة تاريخية عن التكايا في مدينة دمشق:

٢- أهم التكايا:

- ١- التكية السليمية.
- ٢- التكية السليمانية.
- ٣- التكية المولوية.
- ٤- التكية النقشبندية.
- ٥- تكية شمسي أحمد باشا.
- ٦- تكية خالد أبي بهاء ضياء الدين النقشبندي الدمشقي.
- ٣- الزوايا والربط (تعريف):

٤- أهم الزوايا الموجودة في مدينة دمشق حتى أواخر العهد العثماني.

٥- الزوايا في القرن (العاشر - الحادي عشر - الثاني عشر - الثالث عشر - الرابع عشر).

١- الزاوية السعدية الجبّاية.

٢- الزاوية الصمادية.

٣- الزاوية العمرية.

٤- زوايا الشاذلية.

٥- زوايا الطريقة الخلوتية.

٦- زوايا الطريقة المولوية.

٧- زوايا الطريقة الرفاعية.

٦- أهم الربط في دمشق

ثالثاً: مقامات الأولياء والصالحين في مدينة دمشق ومواقعها:

أ - قبور الأنبياء

ب - قبور الصحابة

ج - قبور الأولياء والصالحين والعلماء الدمشقيين المشهورين

رابعاً: المسيحيون في مدينة دمشق:

أشهر الطوائف المسيحية في مدينة دمشق.

١- طائفة الروم الأرثوذكس.

٢- الروم الكاثوليك.

٣- السريان واليعاقبة والكاثوليك.

٤- الأرمن.

٥- الموارنة.

٦- البروتستانت.

خامساً: اليهود في مدينة دمشق:

١- لمحة تاريخية.

٢- أوضاعهم وأحيائهم في دمشق.

٣- أبرز أسرهم.

٤- دورهم الاقتصادي والسياسي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

خاتمة.

obeikandi.com

الحياة الدينية في دمشق في ظل الإدارة الحميدية

امتازت دمشق عبر التاريخ بأهميتها السياسية والاقتصادية والدينية، فلقد كانت أعظم حاضرة عربية إسلامية زمن الدولة الأموية باعتبارها عاصمة الدولة، ولم تفقد بريقها مع قدوم العثمانيين إليها بل زادوا في رونقها وجمالها وأهميتها السياسية بشكل عام والدينية بشكل خاص. فكانت رابع المدن الإسلامية في الأهمية بعد كل من مكة والمدينة والقدس، وهذا الأمر يبرر غناها بالكثير من مدافن الأنبياء وأزواج النبي وأحفاده وأسباطه والصحابه والتابعين والصالحين، فضلاً عن كونها مركزاً لتجمع قوافل الحجاج المسلمين الوافدين من المناطق الإسلامية الشمالية والشرقية، وقد اكتسبت أهمية أيضاً بالنسبة للمسيحيين، ففيها قدم بولس الرسول وفيها مرقد لرفاة القديسين المسيحيين، حيث أنشئ إلى جوارهم كنائس مقدسة.

ولقد حرص العثمانيون على إعطاء دمشق الأهمية الدينية والقدسية التي تستحقها فأطلقوا عليها ((شام شريف))، وشجعوا كل ما له صلة بالدين من طرق صوفية وإقامة التكايا والزوايا والكثير من الأعمال التي وسمت العهد العثماني في دمشق، فازداد التعصب الديني بين عامة الشعب، وازداد التخوف من التجديد ومن الغرب باعتبارهم أعداء الإسلام التقليديين وبالتالي فقد أدى هذا الأمر إلى فرض نوع من العزلة على شعوب المنطقة الرافضة للتغيير أو التطوير، فكان ما وصلت إليه البلاد في أواخر عهد الدولة العثمانية والتيار العلماني الجارف الذي ما لبث أن اخترق البلاد شرقاً وغرباً محدثاً فيها تغييراً جذرياً أبدياً^(١).

(١) نعيمة، يوسف، مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (١١٨٦-١٢٥٦هـ/١٧٧٢-١٨٤٠م). دار طلامس، دمشق، ط١، ١٩٨٦، جزأين، ج٢، ص ٣٨١-٣٨٢.

أولاً: أهم الطرق الصوفية ونشأتها:

تعريف التصوف والصوفية: التصوف أو ارتداء الصوف، اسم يطلق على حركة سيطرت على عقول المسلمين وقلوبهم مدة ألف سنة، وما تزال قوية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي^(١). والتصوف فكر إسلامي فلسفي نشأ مع الإسلام وبدأ بحركة الزهد ثم تطور إلى فكرة التصوف فالإسلام والقرآن هما المنبع الأول للتصوف.

وكلمة تصوف لم توجد في اللغة العربية إلا في القرن الثاني الهجري، وأول رجال مدرسة التصوف هو الحسن البصري^(٢) (٢٣٣هـ/٦٤٣م-١١٠هـ/٧٢٨م)، وكان في البصرة مدرسة صوفية كان من أوائل روادها أبو حمزة الصوفي^(٣)، وكان المتصوفون في القرن الأول يطلق عليهم النساك والقراء والزهاد والفقراء حتى ظهر في القرن الثاني لفظ تصوف أو صوفي^(٤)، ويلخص السراج تعريفات الصوفية أنها العلم بالله، وبأحكام الله، العاملون بما أنزله الله تعالى، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل، الواجدون بما تحققوا القانون بما وجدوا لأن كل واحد قد فني بما وجد.

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي، والفاروقي، لوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٤٢٥.

(٢) الحسن البصري: ولد (٢٣٣هـ/٦٤٣م) وتوفي (١١٠هـ/٧٢٨م)، ابن البصرة الثناي، الجليل والورع الزاهد والمفكر الإسلامي الجليل، كان له مدرسة كبيرة في البصرة ضمت صفوة العباد والنساك وبرجع إليه تأسس فكر صوفي أصيل في أواخر القرن الأول الهجري. خفاجي، محمد عبد المنعم، التصوف في الإسلام وأعلامه، الإسكندرية، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٥.

(٣) أبو حمزة الصوفي: وهو أبو حمزة الخراساني وأصله من نيسابور، صاحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، وكان من أفنى المشايخ وأورعهم توفي سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م). السلمي، عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، مصر، ط٢، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٣٢٦. البستاني، بطرس، دائرة معارف البستاني، دار المعرفة، بيروت، (١٢٩٢هـ/١٨٧٥)، ١١ مجلد، ط٢، ص ١١٥.

(٤) خفاجي، محمد عبد المنعم، التصوف في الإسلام وأعلامه، الإسكندرية، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٢، ص ٨.

وأما عن حقيقة التصوف فتقوم على أساسين: (١) التجربة الباطنية المباشرة للاتصال بين العبد والرب. (٢) إمكان الاتحاد بين الصوفي وبين الله^(١). ولقد غذت الحركة الصوفية أرواح المسلمين وظهرت قلوبهم وحققت تشوفهم للتقوى أو الفضيلة والصلاح والقرب من الله وسرعان ما تنامت هذه الحركة داعمة كل زاوية في العالم الإسلامي، كما أنها تسببت في دخول ملايين الناس في حياض الإسلام وفي ظهور عدد من الدول القوية والحركات السياسية الاجتماعية. وتسببت كذلك في اضمحلال القوة الإسلامية، وفي تخلي المسلمين عن العقلانية من أجل الحسد، وعن المعرفة النقدية من أجل الغيبيات، وعن هذا العالم وشؤونهم من أجل العالم الآخر. لقد كان التصوف سيفاً ذا حدين بالنسبة للإسلام والمسلمين، فمن جهة كما ذكرنا كان سبباً في دخول الملايين إلى الإسلام، ومن جهة قاد الناس في كثير من الأحيان نحو الخرافة والتوهم والابتعاد عن الدين القويم^(٢).

أ- أولى الفرق الصوفية في الدولة العثمانية:

اتسمت الدولة العثمانية بالصفة الدينية عبر مسيرتها التاريخية، ولقد ظهر اهتمامها وتركيزها على هذا الجانب؛ لأنه وسيلة رئيسية في جمع المسلمين حولها. ناهيك عن أنه في العهد السلجوقي كانت الأوساط المتعلمة في مدن وسط الأناضول تأخذ بالثقافة الفارسية الرفيعة بينما كانت تسود في المناطق الحدودية الثقافة الشعبية القديمة للغزاة والدراويش مع تياراتها الصوفية والآخية. وكان هؤلاء الدراويش الذين يعرفون أيضاً باسم ((الأبدال)) أو ((الآخية)) على علاقة وثيقة مع أوائل البكوات العثمانيين، الذين جاؤوا إلى الأناضول منذ القرن الحادي عشر للميلاد مع أمواج الوافدين التركمان، وهؤلاء يمثلون النواة الروحية والاجتماعية للقبائل التركمانية^(٣) في المنطقة، وتظهر الدراسات في تلك المرحلة كيف أنه في

(١) بدوي، عبد الرحمن، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن الثاني، الكويت، ط١، ١٩٧٥م، ص ١٧-١٨.

(٢) الفاروقي، مرجع سابق، ص ٤٢٥.

(٣) اينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي،

د.ت، د.ط، ص ٢٨١.

القرن الثالث عشر كانت بلاد الأناضول قد شهدت هجرات وافدة إليها حيث وصل مع هذه الهجرات أتباع الطرق^(١) والجماعات الدينية الصوفية المتعددة الأشكال والألوان من وراء النهر^(٢) وخوارزم^(٣) وخراسان^(٤) وأذربيجان^(٥)، وانضم إلى هؤلاء من جازوا من مصر وسوريا والعراق^(٦) وهذه المعطيات كلها شكلت النواة الحقيقية لميل الدولة العثمانية نحو الطرق الصوفية وتنشئتها وإنشاء المرافق الخاصة بها وتشجيعها وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر، وأهم الطرق التي ظهرت في القرن الرابع عشر في الدولة العثمانية هي: القلندرية واليسوية والحيدرية والوفائية^(٧) إبان عهد التأسيس^(٨).

(١) مصطلح الطرق: هو جمع (طريق) والطريق هو السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب، أما الطريقة فهي السيرة والحالة وطريقة الرجل مذهبه، وقد ورد اللفظان (طريق وطريقة) في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ [الحقاف: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقاً﴾ [النساء: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبئس ما كانوا يصنعون﴾ [١٠٤] وقال تعالى: ﴿وبئس ما بطرقتكم المثل﴾ [طه: ٦٣]، وورد في القرآن الكريم جمع طريقة كما في قوله تعالى: ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا﴾ [الحج: ١١]، يطلق على شيخ الطريقة شيخ السجادة، ولا يزال هذا اللقب معتمداً في حلب ونعني من يستقيم على الشريعة والطريقة والحقيقة. عبود العسكري، التصوف بين النظرية والممارسة (قراءة فكرية لحالة الطرق الصوفية في سورية) أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف: د. سعاد الحكيم، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م، ص ٦٧.

(٢) ما وراء النهر: اسم أطلقه العرب على البلاد الواقعة شمالي نهر أمودريا (تركستان الروسية) حتى أواسط آسيا. المنجد في الأعلام، ص ٦٣١.

(٣) خوارزم: اسم أطلقه الجغرافيون العرب على بحيرة آرال. المنجد في الأعلام، ص ٢٧٤.

(٤) خراسان: بلاد قديمة في آسيا بين نهر أمودريا شمالاً وشرقاً وحبال هندوكوش جنوباً ومناطق فارس غرباً تنقسمها اليوم إيران وأفغانستان. المنجد في الأعلام، ص ٢٦٧.

(٥) أذربيجان: تقع على سواحل بحر قزوين - عاصمتها باكو وكانت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً. المنجد في الأعلام، ص ٢.

(٦) أوغلي، أكمال الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩م، مجلدين، ٢م، ص ١٧١.

(٧) أوغلي، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٨) القلندرية: طريقة صوفية أسسها قلندر يوسف العربي الإسباني جاء بها إلى دمياط (مصر) الشيخ جمال الدين الساوي، وهي تسمى بطلق عليها اسم أبدال الروم وهذه الطريقة ينحصر أتباعها في اتباع الطرق اليسوية (تسبة إلى بابا إلياس خراساني (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وهو زعيم الثورة البابائية وشيخ الطريقة الوفاية في الأناضول. وأتباع الخبيرة والوفائية كانوا من الدراويش المجاهدين المخاريين ضمن جماعات الحركة البابائية سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وهؤلاء يقدسون شخصين بارزين في القرن الرابع عشر أحدهما هو بابا إلياس خراساني والثاني هو (حاجي بكناش ولي) أحد

١- الطرق الصوفية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وتطورها في الدولة العثمانية:

١- الطريقة المولوية^(١):

تشكلت هذه الطريقة سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وانتشرت بين حكام الإمارات التركمانية وفي شتى أنحاء الأناضول، وأقيمت لها تكايا في تلك البلاد في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان مركز إدارة هذه الطريقة في التكية الأم في قونية. ولقد انتهجت هذه الطريقة نهجاً داعماً للسلطة الحاكمة ومعارضاً للحركات التمردية الهدامة للدولة.

وسياستها هذه أكسبتها ميزات خاصة لدى السلطات، فتمكنت من الحصول على أوقاف غنية وواسعة في الإمارات الأناضولية المختلفة الأمر الذي أعطاها أساساً اقتصادياً قوياً في تلك المرحلة.

وكانت البداية الحقيقية لهذه الطريقة في أواسط القرن الخامس عشر، والدليل على ذلك أن السلطان مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١) أقام تكية كبيرة في أدرنة للطريقة المولوية^(٢) ووضع رسمياً هذه الطريقة تحت توجيه ودعم السلطة المركزية في الدولة وقد وجد في القرن السادس عشر نحو ست وسبعين زاوية في القصبات

خلفائه البارزين ومن مشايخ الخبيرة في الوقت نفسه، فالوفائية قدست تعاليم بابا إلياس، والخبيرية والبسوية قدسوا تعاليم حاجي بكتاش وسوف تعرف فيما بعد بالطريقة البكتاشية التي ستصبح من أكثر الطرق الصوفية انتشاراً وشعبية في الدولة العثمانية لاسيما في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر. المنجد في الأعلام، ص ٥٥٦، أوغلي، مرجع سابق، ص ١٧٣-١٧٤-١٧٥.

(١) المولوية: نسبة إلى العلامة جلال الدين الرومي، لم تنشأ هذه الطريقة في حياة جلال الدين الرومي نفسه، فقد أخذ الطريقة الكبروية عن والده، والطريقة الملامية والفلندرية عن شمس الدين التبريزي، وعمل تفسير هذه الطرق بالاعتماد على فكرة وحدة الوجود عند ابن عربي، وصاغ لنفسه مفهوماً جديداً خاصاً به، ولكن لم يتخذ هذا المذهب الجديد كطريقة صوفية جديدة في بداية الأمر حتى كان تشكلها في أيام جلبي حسام الدين (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ثم سلطان ولد سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ثم أولو عارف جلبي سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، وبعد هذه المرحلة وضع أساس العبادات فيها وطقوسها الخاصة وزينها. أوغلي، مرجع سابق، ص ٢م، ص ١٧٩.

(٢) أوغلي، مرجع سابق، ص ٢م، ص ١٨١.

الصغيرة ونحو أربع عشرة تكية كبيرة في الحواضر الكبرى في الدولة العثمانية^(١)، وما أن حلَّ القرن السابع عشر حتى اكتمل نضج هذه الطريقة فبدأت تظهر منذ ذلك الحين شخصياتها ورموزها البارزة وظهر نفوذها من خلال التقارب الكبير بينها وبين رجالات الدولة في تلك المرحلة^(٢)، فأصبحت المولوية منذ ذلك القرن على رأس الجماعات الصوفية الأكثر تقدراً في الدولة العثمانية، ورافق ذلك انتشار كبير للطريقة في الدولة العثمانية فبلغ عدد تكاياها ٣٦٠ تكية وكان مركزها قونية^(٣).

٢- الفرق الصوفية الجديدة في الدولة العثمانية:

وصلت إلى البلاد العثمانية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر جماعات صوفية جديدة، قَدِمَت من بلاد ما وراء النهر وإيران، أُضيفت إلى الجماعات الصوفية الأساسية في البلاد، والتي هي من مخلفات السلاجقة، وهذه الجماعات هي: الكازرونية والخلوتية والنقشبندية التي تركز جميعها في فكرها الديني على أسس صوفية مستوحاة من المذهب السني^(٤).

والطريقة الكازرونية نسبة إلى الشيخ أبي إسحاق الكازروني (١٠٣٤هـ/١٠٣٤م) نشأت في إيران وهي من الطرق الصوفية ذات الصبغة الحربية، دخلت الأناضول في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، أقيمت لها التكايا في بورصة أنشئت بأمر من بايزيد الأول الملقب يلدرم (الصاعقة)، وفي قونية أقامها أبناء قرمان سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م)، واستمر وجود هذه الطريقة حتى القرن السادس عشر ثم ذابت داخل الطريقة النقشبندية.

ونشأت في أواخر القرن الرابع عشر أيضاً الطريقة النوربخشية (أو الذهبية) وهي فرع من الطريقة الكبروية وذلك على يد الشيخ المتصوف شمس الدين محمد بن علي الحسيني المعروف بأمير سلطان، والطريقة الزينية وقد أنشأها الصوفي زين الدين

(١) أوغلي، مرجع سابق، ٢م، ص ١٨١.

(٢) أوغلي، مرجع سابق، ٢م، ص ١٧٩-١٨٠-١٨١.

(٣) العسكري، التصوف بين النظرية والممارسة (دراسة ميدانية)، ص ٧٧.

(٤) أوغلي، مرجع سابق، ٢م، ص ١٨١.

الحاجي (١٤٣٩/١٤٣٥م) وضيحة موجود حالياً في هراة^(١) وقد تلاشت هذه الطريقة بعد عهد السلطان محمد الفاتح^(٢).

♦ الطريقة البيرامية:

مؤسسها هو حاجي بيرام ولي (١٤٣٣/١٤٢٩م) من قرية ذو الفضل (تعرف القرية اليوم باسم *Solfasol*) بالقرب من أنقرة، ووجهت هذه الطريقة في البداية إلى الفلاحين والبسطاء من عامة الشعب. وفي القرن السادس عشر تحولت إلى الطريقة الملامية^(٣).

♦ الطريقة القادرية:

وتسمى بالطريقة الجيلانية أيضاً: وتنسب إلى الشيخ عبد القادر^(٤) الجيلاني الذي أسسها في القرن السادس الهجري في بغداد^(٥) سنة (١١١٠/١١١٦م) وقد دخلت الأراضي العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي، وحملت القادرية بين تعاليمها الصوفية أثر الطريقة البيرامية، انتسب لها كثير من رجالات الدولة العظام من أمثال الوزير الأعظم محمود باشا، وتفيد بعض المراجع ولاسيما التركية أن الطريقة القادرية انتشرت في الدولة العثمانية وحظيت بانتشار واسع ولا تزال غير معروفة حتى تاريخه^(٦).

♦ الطريقة الخلوتية:

المؤسس هو إبراهيم زاهد كيلاني (١٣٠٥/١٣٠٥م)، وقد طورها ووسعها الشيخ سراج الدين عمر لاهيجي المتوفى في هراة سنة (١٣٩٨/١٤٠١م)، كانت بداية

(١) هراة: مدينة شمال غربي أفغانستان، ينسب بناؤها إلى الإسكندر المقدوني، وذكرها ياقوت الحموي أنها من أمهات مدن خراسان، دخلها النثر سنة (١٢١٩/١٢١٨م) وخربوها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠/١٩٨٩م، خمسة أجزاء، ج ٥، ص ٤٥٦.

(٢) أوغلي، مرجع سابق، م ٢٢، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) أوغلي، مرجع سابق، م ٢٢، ص ١٨٣-١٨٤.

(٤) الزوي، مملوح، محمد، الطرق الصوفية (ظروف النشأة وطبيعة الدور)، دار الأهالي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١١١.

(٥) تعريف صاحب الطريقة: هو الشيخ عبد القادر الجيلاني: أبو محمد محي الدين بن أبي صالح عبد الله، وقبل ابن أبي موسى حنكي دوست الجيلاني نسبة إلى مدينة جيلان وبعود نسبه إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله

عنه. الزوي، مرجع سابق، ص ١١١.

(٦) أوغلي، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ١٨٤.

انتشارها في إيران، وقد دخلت الأناضول في بداية القرن الخامس عشر، لم تعرف الخلوتية نظاماً مركزياً مثل بقية الطرق الأخرى كالمولوية والبكتاشية، لذلك انقسمت بعد فترة قصيرة إلى فروع متعددة^(١)، برزت هذه الطريقة كقوة سياسية ودينية حقيقية في القرن السابع عشر، وذلك من خلال الحرب التي شنتها الدولة العثمانية ضد الطريقة الخلوتية في تلك المرحلة، ولم تنتهِ هذه الحرب إلا بعد تدخل الصدر الأعظم كوبرلي محمد باشا وحسمه للأمر نهائياً^(٢).

♦ الطريقة النقشبندية:

أسسها محمد بهاء الدين البخاري المشهور بنقشبند (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) الذي تتلمذ على يد الشيخ محمد بابا السماسي في القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت تسمى في البداية الصديقية نسبة إلى الخليفة أبو بكر الصديق عليه السلام، وتنتشر حالياً في بلاد فارس وتركستان وقازان^(٣) وتركيا وبلاد الشام^(٤).

دخلت الأراضي العثمانية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وأقيمت لها التكايا في أنحاء البلاد، توطدت علاقات هذه الطريقة مع السلطة الحاكمة زمن السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، وما إن أتى القرن السابع عشر حتى انتشرت في جميع أنحاء الدولة. وقد تفرعت في تلك المرحلة إلى فرعين: المجددية والخالدية^(٥).

♦ الطريقة البكتاشية أو البكطاشية:

أسسها الشيخ محمد بن إبراهيم آتا الشهير بالحاج بكتاش. ولد في نيسابور ثم جاء إلى الأناضول حيث قام بتأسيس الطريقة البكطاشية فيها، ودعا لها في عهد

(١) أوغلي، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ١٨٥.

(٢) أوغلي، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ١٨٤، ١٨٥.

(٣) قازان: مدينة في روسيا على نهر الفولغا، عاصمة جمهورية التتر المستقلة. المتجد في الأعلام، ص ٥٤١.

(٤) الزوي، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٥) أوغلي، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ١٨٥، ١٨٦.

السلطان العثماني أورخان*، توفي سنة (١٣٣٦هـ/١٣٣٦م)، والطريقة البكتاشية هي خليط من الطريقة القلندرية والسيوية والحيدرية^(١).

انتشرت هذه الطريقة في الأراضي التركية بشكل عام وفي الأناضول وأراضي الروملي بشكل خاص، وكان أكثر أتباعها من أمة الأرناؤوط^(٢).

فلسفتها تقوم على عقيدة وحدة الوجود، ويقول أتباعها إن أصولها انحدرت من الإمام علي بن أبي طالب^(٣) كرم الله وجهه.

اتصلت البكتاشية بفرقة الإنكشارية وذلك بعد أن سار السلطان العثماني أورخان (١٣٢٤-١٣٦٢م) مع فرقة الإنكشارية إلى الحاج بكتاش وطلب منه أن يباركها فوضع الشيخ يده على رأس أحد جنودها ودعا لهم قائلاً: "فليكن اسمهم إنكشارية، اللهم اجعل وجوههم بيضاء وسيوفهم فواصل، ورماحهم قاتلة، واجعلهم منتصرين قاهرين لأعدائهم"^(٤).

واعتباراً من هذه المرحلة بدأ الإنكشارية بتسمية أنفسهم بالبكتاشية، وقويت العلاقة ما بين الطريقة وبين السلطة العثمانية، فأصبحت تكايا البكتاشية المنتشرة في أرجاء البلاد العثمانية موثلاً للإنكشارية وأوجاقها، وكان لكل ثكنة عسكرية إنكشارية مرشد بكتاشي، كما أقيمت تكية بكتاشية قرب كل معسكر للإنكشارية، وبذلك تسلمت البكتاشية على الإنكشارية تسليماً تاماً إلى أن قضى السلطان محمود الثاني على أتباع هذه الطريقة ومشايخها وعلى الإنكشارية والدولة^(٥)، وذلك سنة (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) عندما قام بالقضاء على النظام

(*) أورخان: ولد سنة (١٢٨٠هـ/١٢٨١م)، تولى السلطنة سنة (١٣٢٥هـ/١٣٢٥م)، وكان يبلغ من العمر ٤٣ سنة، ومدة سلطنته ٣٥ سنة، مات سنة (١٣٥٩هـ/١٣٥٩م). حليم بك، مرجع سابق، ص ٥١، ٥٢.

(١) الزوي، مرجع سابق، ص ٥١، ٥٢.

(٢) أرسلان، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٤٩.

(٣) الزوي، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٤) الزوي، مرجع سابق، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٥) الزوي، مرجع سابق، ص ١٨٤.

الإنكشاري بكامله في الدولة، وبذلك تهدم قسم كبير من التكايا البكتاشية، وخاصة التي كانت بالقرب من الآستانة^(١).

ولكنه وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت هذه الطريقة بالانتشار بين صفوف الشعب، وقد لاقت رواجاً كبيراً بسبب ما كان في أشعارها من لذة روحية وسهولة في الأسلوب، ولما امتاز به شيوخها من رقة وحلو الحديث والبعد عن الجدل العنيف، كما انتشرت الطريقة في مصر، فكانت لهم تكية في جبل الجيوشي في القاهرة فيها جثمان الشيخ عبد الله المغاوري وهو أحد أقطابها وشعرائها، وتكية أخرى في المعادي في القاهرة آخر شيوخها هو أحمد سري بابا^(٢). لكن البكتاشية استأنفت نشاطها بعد ذلك من جديد وبنيت لها تكايا جديدة في البلاد مرة ثانية^(٣). كانت هذه أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في الدولة العثمانية في تلك المرحلة واستمر الكثير منها حتى فترات لاحقة وذلك لارتباط الكثير منها بالحياة السياسية للدولة العثمانية وستشهد الطرق الصوفية نهضة جديدة في القرن التاسع عشر وخاصة خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي أولى هذه الطرق أهمية خاصة وذلك حسب اعتقاده كان لدعم سياسته الدينية التي انتهجها في أواخر حكمه فقرب إليه زعامات الطرق الصوفية وخاصة الطريقة الشاذلية "اليشرطة" واعتنى بمرافقتها وقدم إليها والمساعدات لها، فأتسمت فترة عبد الحميد الثاني بصفة دينية صوفية وخاصة بلاد الشام (دمشق). وسنورد في الفقرة القادمة أهم الطرق الصوفية في الفترة المذكورة التي كان لها الحظوة والمكانة الرفيعة في تلك المرحلة في مدينة دمشق.

(١) أرسلان، مرجع سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) الزوي، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٣) أرسلان، مرجع سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

ج- الطرق الصوفية في مدينة دمشق في أواخر العهد العثماني:

يتردد على ألسنة العامة والخاصة وفي المفهوم الصوفي أن عدد الطرق الصوفية بعدد أنفاس الخلق وهذا يعني أننا أمام عدد لا نهائي من الطرق الصوفية، ما دامت التجربة الصوفية تجربة شخصية لها خصوصيتها.

ولكن المتصوفة انتظموا ضمن عدد من الطرق الأم الرئيسية مثل: الطريقة الرفاعية، الطريقة القادرية، الطريقة الشاذلية، الطريقة النقشبندية، الطريقة العقيلية، الطريقة الخلوتية، الطريقة البكتاشية (البكطاشية)، ولهذه الطرق فروع تعد بالعشرات لكل منها. أي أن جميع هذه الطرق وغيرها وافدة إلى سورية (بلاد الشام) وإلى دمشق حصراً وذلك لمكانة هذه المدينة في نفوس المسلمين، فمن هاجر من غير العرب فاراً بدينه اتجه إلى شام شريف، ومن هاجر من بلاد المغرب العربي جراء وجود الظلم والاضطهاد والاستعمار اتجه أيضاً إلى دمشق، فكانت دمشق محطة حقيقة ومركزاً لكثير من الطرق الصوفية التي نمت وترعرعت في داخل الديار الشامية منذ الأيام الأولى للدولة العثمانية وحتى ما قبل قدوم العثمانيين إلى أيامنا هذه^(١).

ويمكن تصنيف المتصوفين في دمشق في المرحلة المدروسة إلى ثلاثة أصناف اجتماعية متباينة:

الفئة الأولى: فئة المتصوفين الذين عكفوا على العبادة وانقطعوا عن الناس في الزوايا والتكايا وغيرها. ولقد عمل بعضهم كشيوخ للأسواق في دمشق أو شيوخ لطوائف الحرف وصارت لهم سمعة دينية، وقد رفع البعض منهم إلى مرتبة التقديس، حيث ادعوا النسب الشريف لآل البيت، وقصدتهم الهيئة الحاكمة للتبرك وللحصول على ود الشعب من خلال مرضاتهم،

أما **الصنف الثاني** من المتصوفين فكان ذا نشاط اجتماعي ديني، تمثل في جمع الأتباع والمريدين. وقد رأى الدمشقيون من خلال تنظيماتهم الصوفية، أو الحرفية،

(١) العسكري، مرجع سابق، ص ٦٨.

متنفساً لمعاناتهم اليومية الناتجة عن سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية والسياسية في المدينة، وبرز هذا الصنف في تنظيمات الطرق الصوفية المتعددة.

وأما **الصنف الثالث** فكان أقل الأصناف السابقة تماسكاً وشمل عدداً كبيراً من المسلمين الدمشقيين والغرياء بطبيعة الانتماء إلى طريقة صوفية واحدة. ولم يعتكف هؤلاء في الزوايا للعبادة، كما لم ينقطعوا عن الناس لهذه الغاية، ولم يعفوا عن المشاركة في الحياة العامة أو في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بل أسهموا بدورهم فيها. وكان منهم من يعمل في صفوف طوائف الحرف والصناعات المختلفة. وكان هؤلاء من فئات اجتماعية مختلفة^(١).

فكان منهم رجل الدين أو رجل السلطة أو الفلاح أو الإنكشاري الخ... ومن خاصة رجال الدين من أخذ بأكثر من طريقة صوفية فمثلاً الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الشهير كان نقشبندياً وقادرياً^(٢) والشيخ حسين بن سليم الدجاني الشافعي أخذ الطريقة الإبراهيمية والقادرية ثم الأحمدية البدوية^(٣) والرفاعية الشاذلية، ومات سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م^(٤). ولقد تزايد تشعب الطرق الصوفية الرئيسة في دمشق وتزايد عدد المنتسبين إليها مع ازدياد الأوضاع السياسية والاقتصادية سوءاً في البلاد، وازدادت السطحية في ممارستها وطقوسها، وذلك تزامناً مع التدهور والانحطاط الذي آلت إليه أحوال الدولة العثمانية بشكل عام ودمشق بشكل خاص ولاسيما في نهايات القرن العشرين، فأصبح الهروب إلى الغيبيات والخرافات

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٢) تسمى بالطريقة الجبلانية أيضاً ونسب إلى الشيخ عبد القادر الجبلاني، الذي أسسها في القرن الخامس للهجرة في مدينة بغداد ومن أهم مبادئها نوازي التصوف والشرعة فكل حفيظة لا تشهد بصحتها الشرعة فهي زندقة، وتؤكد على نظافة اللب وطهارة اللباس وطهارة القلب كما تؤكد على الصبر على البلاء وعدم الهروب منه. الزوي، مرجع سابق، ص ١١١.

(٣) البدوية: وهي الطريقة التي أسسها الشيخ أحمد البدوي خلال القرن السابع للهجرة وقد أخذت البدوية معظم أسسها عن القطب الصوفي عبد السلام بن مشيش الذي كان ينتمي إلى الطريقة الشاذلية وكذلك عن الإمام أحمد الرفاعي وللبدوية شارة خاصة تميزهم عن أتباع بقية الطرق الصوفية وهي العمامة الحمراء والعلم الأحمر، وغالباً ما يظهر الأتباع هذه الإشارات في شهر آب من كل عام حيث يحتفل بميلاد السيد البدوي في مصر. الزوي، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٤) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.

والخزعبلات التي كثيراً ما وجد فيها أصحاب الطرق الصوفية ورؤساؤها ملجأ وطريقاً للنجاة وربما لتناسي الهموم والمشاكل اليومية التي كان يعاني منها الفرد في تلك المرحلة.

وكان الاعتقاد أن الدخول في هذه الطرق هو الوسيلة المثلى للتخلص من هذه المعاناة، فسادت روح التواكل بين العامة وانشغلت بما كان لمشايخها من كرامات وخوارق وبالتبرك بهم للخلاص من مآسيهم عن المشاكل الحقيقية التي كانوا يعيشونها والكوارث الطبيعية والسياسية التي كانت تحصل في البلاد، وقوبل كثير منها بكثرة الالتجاء إلى هؤلاء المشايخ والتضرع إليهم والاستعانة بهم من أجل تخليصهم من هذه المصائب وكشف الغمة عن البلاد فساد الجهل والتخلف بكل معانيه وصوره. وطبعاً فقد ارتاحت السلطات العثمانية لهذه الحالة فقامت بتشجيع هذه الطرق وكثيراً ما قدمت المساعدات المالية لأصحابها ومشايخها من أجل الاستمرار ودعمت الكثير منها لاسيما تلك التي كانت مؤيدة لعدم الخروج عن أمر الحاكم (حاكم الديار الإسلامية) والركون إلى العبادة والترهب في الحياة، أما بالنسبة للزعامات الصوفية فكانت تجد في مناصبها هذه وخاصة في دمشق باباً واسعاً ومنفذاً لتحقيق الجاه الاجتماعي والريخ المادي في وقت واحد. وأكبر دليل على ذلك أن الكثير من هذه الزعامات والشخصيات حاولت تشكيل طرق صوفية خاصة بها وسميت هذه الطرق أو الفروع عن الطرق الصوفية الأصلية بأسمائهم وانطبعت بشخصيتهم^(١).

وأما بالنسبة للحالة العلمية لهؤلاء المتصوفين فلم تكن إلا فئة قليلة منهم لها درجة معينة من العلم وهؤلاء بالطبع هم إما رجال الدين والزعامات الدينية أو بعض أبناء التجار والأعيان في مدينة دمشق، وكان سبب تحصيلهم العلمي هذا هو الثراء المادي الذي تمتع به أبناء هذه الفئات، وأما بالنسبة للجهلة منهم فقد علا شأنهم وعلت مكانتهم الاجتماعية بين الناس فتقرب إليهم الأثرياء والحكام طلباً للرضا والتبرك.

(١) نغسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٧-٤٠٨. العسكري، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١.

وقد استغلت هذه الفئة نفوذها الديني وادعاءها إحداث الكرامات والخوارق في سبيل الحصول على الكثير من الامتيازات المادية والاجتماعية في المجتمع الدمشقي إن كان من عامة الناس أو من قبل الفئة الحاكمة التي كان الهدف الحقيقي من وراء دعمها لهؤلاء هو كسب تأييد عامة الناس (أو المريدين) التابعين لشيخ هذه الطريقة أو تلك، لقد كانت المساعدات والمعونات تأتيهم بغير حساب فعاثوا في رغد ورخاء في أوقات كان الكثير من فئات الشعب (الذين هم على الأغلب من مريديهم) يعيشون في حالة فقر وعوز شديدين^(١).

ولتوضيح الدور الاجتماعي والسياسي الكبير الذي أدته هذه الطرق وأتباعها في التأثير في التاريخ السياسي والاجتماعي لمدينة دمشق في تلك المرحلة، سنفرد الحديث لكل طريقة صوفية اشتهرت في مدينة دمشق، وسنحاول أن نوضح مدى تأثير هذه الطرق من خلال تتبع أخبار أتباعها وطقوس ممارستها ومشاركة زعمائها في الحياة السياسية والاجتماعية في المنطقة، ولكن علينا أن نوضح نقطتين هامتين قبل البدء بالحديث عن هذه الطرق وهما:

أولاً: لم تكن هذه الطرق على درجة واحدة من الأهمية في دمشق فالطريقة الأهم والأبرز هي تلك التي تبنتها الفئة الخاصة في العاصمة استانبول وهي على الأغلب الطرق الصوفية الأصلية أو التي تمتلك وسائل مادية كبيرة.

هذه الطرق التي كما أسلفنا في كثير من الأحيان تفرعت إلى فروع متعددة تسمت بأسماء المشايخ الذين أسسوها ونسبت إليهم وربما كان الأمر بدافع شخصي بحث كما أسلفنا القول.

ثانياً: ترأس هذه الطرق في مدينة دمشق شيخ مشايخ، هذه الشخصية التي كانت بمثابة الرئيس على جميع مشايخ الطرق الصوفية في مدينة دمشق، وهذا الشيخ كانت مهمته التحدث على جميع الخوانق والفقراء، وهو الذي يشرف على أمور الزوايا والتكايا وأوقافها في المدينة ولقد حوت سجلات ووثائق المحاكم الشرعية في مدينة دمشق الكثير من أسماء هؤلاء المشايخ الذين كانت في تلك

(١) نغيسة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٠٨. العسكري، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١.

المرحلة تتحصر أسماؤهم (أو ينحصر هذا المنصب) في شيخ الخانقاه السمسيطاطية الذي كان لديه سجلات وجرائد تحمل أسماء النازلين بالخانقاهات^(١) التابعة للطرق الصوفية وسجلاً آخر تدون فيه المبالغ التي كانت تصرف على كل خانقاه وغيرها من الأمور^(٢).

أما الطرق التي كانت سائدة في مدينة دمشق خلال العهد العثماني فكانت على النحو الآتي:

١- الطريقة النقشبندية:

جاءت هذه الطريقة إلى دمشق عن طريق صلتها بالهند، وأول من أدخل الطريقة النقشبندية إلى بلاد الشام هو مولانا خالد ضياء الدين (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) وإليه تنتسب الطرق النقشبندية في سورية وهو مدفون في تربة تحمل اسمه بسفح جبل قاسيون، وحمل الحي الذي بجانب التربة أيضاً اسمه^(٣)، ولم تظهر أهميتها في مدينة دمشق إلا في أواخر القرن الثامن عشر وذلك على يد آل المرادي وغيرهم، حيث يعد جد آل المرادي (محمد مراد الأول) من أبرز أقطاب الطريقة النقشبندية ولد في بخارى (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) وتوفي سنة (١١٣٢هـ/١٧٢٩م) اتجه مهاجراً إلى دمشق وزار الهند والقسطنطينية وكان مقره الأخير في دمشق، وأصبح قطباً من أقطاب هذه الطريقة فيها. ولقد كان للظروف الطارئة التي حدثت في الهند دور في دفع الكثير من أتباع هذه الطريقة للهجرة والنزوح نحو مناطق غرب آسيا الإسلامية بما فيها بلاد الشام.

ومن أبرز الشخصيات الدمشقية في هذه الطريقة: مفتي دمشق محمد خليل المرادي (١١٧٣-١٢٠٦هـ/١٧٦٠-١٧٩٢م) والذي كان على صلة برجال الدولة في استانبول، وله الكثير من المؤلفات، ومن أهم أعماله تصديده لمظالم والي دمشق أحمد باشا الجزار حيث كان له دور في عزله عن ولاية دمشق بسبب المظالم التي

(١) الخانقاه: كلمة فارسية الأصل، أصلها خونكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي زوايا الصوفية. فمصطلح خانقاه بالفارسية، بيت، مسكن الدراويش والمرشدين.

كرد علي، مرجع سابق، ج٦، ص ١٣٠.

(٢) نعيسة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٠٩. العسكري، مرجع سابق، ص ٧١.

(٣) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٢، الزركلي، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٩٤.

ارتكبتها فيها^(١). ومن هنا نستطيع الاستدلال على الدور السياسي والنفوذ الذي كان يتمتع به أئمة الطريقة النقشبندية في الدولة العثمانية، لذلك عدت هذه الطريقة من أهم الطرق الصوفية في المنطقة بشكل عام وفي دمشق بشكل خاص وذلك بسبب الصلة الوثيقة التي كانت تربطها بمرجالات السلطة العليا في استنبول.

وعلى هذا كنا نجد أن أتباع هذه الطريقة كانوا في كثير من الأحيان من خاصة دمشق والهيئة الحاكمة فيها فوالي دمشق سنة (١٢٢٢هـ/١٨٠٨م) الدالي ياش الكنج (أي الكنج يوسف الرأس المجنون) يوسف كان نقشبندياً. مثال آخر على نفوذ النقشبنديين: ما ورد عن حادثة سجن أحد شيوخها وهو الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الشافعي الأشعري النقشبندي الذي قامت ثائرة الناس عند سجنه من قبل السلطات ولم تقعد في المدينة وكادت أن تحدث فتنة، لولا أن السلطات أفرجت عنه ووصل النفوذ بهذه الشخصية "أن قابل السلطان عبد المجيد خان^(*) مرات عديدة وعرض عليه السلطان تخصيص راتب معاشي فرفض ذلك"^(٢).

وقد لبس خرقة المشيخة النقشبندية في دمشق العديد من الشخصيات الدينية في المدينة من أمثال:

الشيخ أحمد البقاعي المتوفى سنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠-١٧٩١م)، وأشهر زوايا هذه الطريقة الزاوية النقشبندية بالقرب من منزل آل المرادي في سوق ساروجة، أنشأها الشيخ الجليل العارف مراد البخاري النقشبندي باني المدرسة المرادية، وزاوية أخرى (الزاوية الهندية) خارج باب الجابية دفن فيها علّمُ الله الهندي النقشبندي^(٣) وتقع في محلة القماحين حيث كانت تقام فيها حلقات ذكر كبيرة^(٤) وورد في إحدى وثائق

(١) نعيبة، يوسف جميل، تاريخ حسن آغا العبد قطعة منه، حوادث سنة ١١٨٦ إلى ١٢٤١هـ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٩، ص ١٠.

(*) السلطان عبد المجيد: ولد سنة ١٢٣٧هـ، جلس على العرش سنة ١٢٥٥هـ، وكان عمره ١٨ سنة، مدة سلطته ٢٢ سنة، وتوفي سنة ١٢٧٧هـ. حليم بك، مرجع سابق، ص ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) نعيبة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١١.

(٣) نعيبة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٨.

(٤) نعيبة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١١.

مدينة دمشق نص تولية "عثمان ناهذ جابي بن محمد" على وقف زاوية الهندود (كما ورد في النص) في باب الجابية في دمشق وتولي أمور الخطابة فيها^(١).

تفرعت هذه الطريقة في دمشق إلى عدة فروع: أهمها الطريقة النقشبندية المصلحة أو الخالدية، التي تنسب إلى الشيخ محمد أفندي ابن الشيخ نجم الدين ابن مولانا خالد، والفرع الآخر هو فرع الشيخ أسعد أفندي ابن الشيخ محمود شقيق مولانا خالد، ثم فرع بني الخاني ومن أبرزهم محمد الخاني النقشبندي الذي عينه السلطان عبد المجيد شيخاً للكتيبة السلطانية بدمشق^(٢).

وأبرز شيوخ هذه الطريقة من أصول غير عربية ومعظمهم كانوا من التجار والأثرياء ورجال الدين البارزين في المدينة الذين وفدوا إليها وعملوا بالتجارة فبلغوا ما بلغوه من غنى ومكانة اجتماعية.

من أبرز مشايخ النقشبندية في دمشق: الشيخ إسماعيل الأناراني^(*)، الشيخ أحمد الأغريوزي المتوفى سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٥م)، ثم أحمد السركلوي البرزنجي المتوفى سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٥م) ثم إسماعيل البرزنجي المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) والشيخ إسماعيل البصري النقشبندي المتوفى سنة (١٢٤٠هـ/١٨٢٥م)، محمد تلولو المتوفى سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)، الذي وجهت إليه دعوة لزيارة استانبول في عهد السلطان محمود الثاني، ولقد وجهت دعوات مماثلة لغيره من النقشبنديين، وكان السبب وراء اهتمام السلطان هذا هو حاجته لدعم هؤلاء المشايخ في خطة الإصلاح التي قام بها في تلك المرحلة^(٣).

(١) الحكيم، دعد، الأوامر السلطانية لولاية دمشق في تعيين القضاة والولاة والموظفين من خلال ترجمة السجلات المحفوظة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق للأعوام (١٢٣٦هـ-١٢٣٩هـ)، (١٨٢٠م-١٨٢٣م) منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢، ص ١١١.

(٢) نعيسة، مرجع سابق، ص ٤١٢.

(*) إسماعيل الأناراني: كان مدرس وإمام الطريقة النقشبندية في جامع العباس في دمشق، توفي في أوائل ذي الحجة سنة ١٢٤٢هـ، دفن في سفح جبل قاسيون، الشطي، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٢، ٤١٣.

أما بالنسبة إلى الدور السياسي والاجتماعي الذي أدته هذه الطريقة: فقد لاحظنا كيف أن مشايخها كانوا على صلة وثيقة بالدولة والسلطات العثمانية وقد تمتع هؤلاء بنفوذ كبير وخاصة في مدينة دمشق وعلى أهلها، لما كان لهم من القداسة والتقدير لدى العامة. وبالنسبة للدور الاجتماعي فقد كان لهذه الطرق دور لنشر الأخلاق الحميدة والحض عليها وذلك من خلال آداب المريدين التي فرضت عليهم، فهذه الآداب والفضائل كانت من شروط دخول المريد إلى الطريقة، وفي كثير من الأحيان ساعد مشايخ الطرق على حل الكثير من النزاعات بين الفئات الاجتماعية المختلفة في المدينة أي أنهم أدوا دوراً اجتماعياً مهماً. وقبل بداية القرن التاسع عشر أصبح للطريقة النقشبندية والطرق الأخرى مشيخة عامة، يحق لصاحبها التكلم على جميع الطرق والإشراف عليها لدى السلطات العليا في الدولة العثمانية.

وانحصرت في تلك المرحلة مشيخة المشايخ للطريقة النقشبندية في آل خالد النقشبندي^(١).

أما فروع النقشبندية الحالية في بلاد الشام:

- ١- الطريقة النقشبندية التي شيخها أحمد كفتارو، ولها فروع في سورية ولبنان والعالم الإسلامي.
- ٢- الطريقة النقشبندية التي شيخها عبد الهادي الباني (تفرع عن كفتارو).
- ٣- الطريقة النقشبندية التي شيخها محمد الخزنوي، ولها فروع في سوريا والعالم الإسلامي.
- ٤- الطريقة النقشبندية التي شيخها عبد اللطيف نعان وهو الوحيد في سوريا الذي لم يأخذ الطريقة عن مولانا خالد (سابق الذكر).
- ٥- الطريقة النقشبندية التي شيخها من آل حقي في الجزيرة السورية.

(١) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٣.

٦- الطريقة النقشبندية التي شيختها (القبسية)، وهي طريقة صوفية نسائية تهتم بالتربية والتعليم وتختار مريداتها من سوية علمية متقدمة^(١).
وأما خارج بلاد الشام فلقد انتشرت هذه الطريقة في العديد من مناطق العالم الإسلامي، وكان لها دور فاعل وخاصة في شمال القوقاز. حيث حارب الشيخ شامل شيخ الطريقة في هذه المنطقة مع مريديه وأتباعه القوات الروسية الغازية لبلادهم وذلك في بدايات القرن التاسع عشر وانتصروا عليها في أكثر من معركة. وعندما تمكنت روسيا من السيطرة على شمال القوقاز، وخاصة الشيشان وداغستان في عام ١٨١٣م، حيث سيطرت روسيا بالقوة على الشيشان فيما تنازلت الدولة الفارسية لروسيا عن داغستان بعد أن كانت تحت سيطرتها، انفجرت في وجهها الثورة التي تزعمها أتباع النقشبندية وشيوخها في المنطقة^(٢).

ومن روادها المعاصرين الشيخ محمد ناظم القبرصي الحقاني من مواليد لارنكا في قبرص سنة ١٩٣٣م وله أتباع كثير في لبنان وسورية.
وكذلك الشيخ عثمان سراج الدين الذي عاش أكثر من مئة عام، وهو من أصل عراقي، استقر في استانبول حيث شيد فيها مسجداً ومركزاً للنقشبندية، وتوفي سنة (١٩٩٧م) ودفن في الزاوية النقشبندية في استانبول^(٣).

٢- الطريقة الخلوتية:

(وجاء الاسم من كلمة الخلوة ولقد أسلفنا التفصيل عن هذه الطريقة ومؤسسها وانتشارها)، وهي من الطرق العامة الهامة في المجتمع الدمشقي كما هي النقشبندية فقد كان لها أتباع كثيرون من الفئات الحاكمة في تركيا وفي دمشق.

* سجل رقم (١٣١) تاريخ (١٣١٨هـ) ورد فيه: الموافقة على تولية الشيخ عبد الله الحناني بن الشيخ محمد لوظيفة المشيخة والمحدث على الطريقة النقشبندية على وقف في السويفه. الحكيم، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

(١) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤.

(٢) الزوي، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٣) الزوي، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦١.

وكانت منقسمة إلى فئتين وهي (الفئة التدريسية) و(الفئة التجريبية)، ولقد تمتعت الأولى بدور سياسي هام في المنطقة، ويلاحظ أن شيوخ الخلوتية كانوا من أصول محلية.

وأول ذكر لمشايخ هذه الطريقة في الوثائق العثمانية تدل على أنه كان من آل اليا في دمشق، ويتبع في هذه الطريقة أسلوب النبي ﷺ في اختيار خلف عنه حيث أنه اختار أبا بكر الذي لم يكن من أقاربه، فكان هذا نهج الطريقة في اختيار مشايخها، ومن خلال الاطلاع على أسماء مشايخ هذه الطريقة خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر يمكن إثبات هذه المقولة وهم:

الشيخ شاکر العقاد المولود سنة (١١٥٧هـ/١٧٤٤م-١٧٤٥م)، ثم حسن بن عبد اللطيف الدمشقي، الشهير بالعمري المتوفى سنة (١٢٠٠هـ/١٧٨٦م)، وهو تلميذ أحمد البعلي الدمشقي الخلوتي، ثم عمر اليا في المتوفى سنة (١٢٣٢هـ/١٨١٦م-١٨١٧م)^(١)، وصاحب الفتاوى المشهور هاشم التاجي الجنيني المتوفى سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن الطباخ المتوفى سنة (١٢٣٧هـ/١٨٢١م)، الذي أخذ الطريقة عن أبيه وأصبح شيخاً للطريقة الخلوتية، ثم الشيخ أمين أفندي الجندي المولود سنة (١٢٢٩هـ/١٨١٣م-١٨١٤م)، والشيخ عبد الله الكتاني الصالحي المولود (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م)، والمتوفى سنة (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)^(٢).

وهناك الخلوتية المصلحة وتنسب إلى مصطفى البكري^(٣)، ولذلك سميت بالخلوتية البكرية، وكان شيخ هذا الفرع الشيخ محمد المبارك الذي أخذ الطريقة عن المرشد العاقل الشيخ محمد المهدي الكلاوي، ثم عمر أفندي الغزي المتوفى سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م)، وأخذ الطريقة عن الأستاذ مصطفى النحلاوي البكري،

(١) خليل مردم بك، أعيان القرن الثالث عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧١، ط٢، ١٩٧٧، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) نعيمة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤١٤-٤١٥.

(٣) هو الصوفي البكري الكبير أبو المعارف قطب الدين السيد مصطفى بن كمال البكري الصديقي المتوفى سنة (١١٦٢هـ/١٧٤٨م). وتعود نسبة البكري أو الصديقي لشيوخ الطريقة إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق. انظر: باشا، د. عمر موسى، قطب العصر، عمر الباقي، مج١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٣.

ومكان إقامة الذكر لهذا الفرع من الطريقة يقع في المشهد اليافي في (حجرة كبيرة) من الجامع الأموي. ثم هناك الخلوتية المصلحة السفرجلانية، والتي ترأسها تاجر دمشقي ناجح هو خليل أفندي السفرجلاني (*) (١٧٩٠هـ/١٨٢٨م) ^(١).

وأما الفرع الخلوتي الطباخي فكان الشيخ يوسف الطباخ شيخاً له في سنة ١٧٤٦م ^(٢)، ومن بعده الشيخ خالد النابلسي الدجاني، ثم ابنه الشهير بالطباخ ومن مشايخ هذا الفرع الشيخ محمد الزهدي ابن عمر الدمياطي الأصل الدمشقي الحنفي، الذي عمل على إحياء هذه الطريقة، والذي أخذ الطريقة عن والده وتوفي سنة (١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن المعروف بالطباخ الذي توفي سنة (١٢٧٣هـ/١٨٥٧م) ^(٣). أما بالنسبة لزوايا هذه الطريقة: فكانت لها زاوية تقع بالقرب من باب جيرون، وكان يقيم فيها الشيخ أبو بكر الدسوقي الخلوتي ^(٤) الشافعي الذكر والتوحيد وتقع الزاوية في حارة النقاشات، بالقرب من الجامع الأموي ^(٥).

وكانت لها زاوية أخرى وتكية بالقرب من باب الله خارج دمشق وهو ما يعرف اليوم بجامع العسالي أنشأها الوالي أحمد باشا المعروف بكوجك أحمد الأرنبودي ^(٦)

(*) خليل بن عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق السفرجلاني الدمشقي الشافعي، شيخ الطريقة السفرجلانية الخلوتية بدمشق، ولد سنة (١٢٠٥هـ)، وكان مشغولاً بالنجارة، توفي سنة (١٢٧٥هـ) ودفن في باب الصغير. الشطبي، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، ص ١١٥.

(١) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) يوسف الطباخ (١١٥٩هـ) يوسف بن عبد الله الشهير بالطباخ الخلوتي الدمشقي، وهو في الأصل مملوك لبني المبداني التجار، أخذ الطريق الخلوتية عن الشيخ الكبير حسن المرجاني البطائحي المعروف بالطباخ توفي سنة (١١٥٩هـ) دفن في تربة الدحداح المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: العلي، أكرم، ٤ مجلدات، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢/٢٠٠١م، ج ٤، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) تعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٥. العسكري، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن عبد الوهاب بن شرف الدين بن أحمد عيسى الدسوقي، الدمشقي الشافعي الخلوتي، ولد سنة (١١٢٤هـ) وتوفي سنة (١١٩٣هـ) ودفن بمقبرة باب الصغير المرادي، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٢-٦٣.

(٥) المرادي، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٢.

(٦) كوجك: كلمة تركية الأصل تعني الصغير.

الذي حكم دمشق سنة (١٠٣٩هـ / ١٦٣٠م) ومن مشايخ الخلوتية في دمشق أبو السعود بن أيوب الحنفي الدمشقي، ثم يوسف المملوك، ثم حسن النخال الذي أخذ الطريقة عن مصطفى الصديقي الدمشقي^(١). وفي القرن التاسع عشر أحمد عابدين (١٢٣٩-١٣٠٧هـ=١٨٢٣-١٨٨٩م) وأخذ الطريقة عن محمد الخاني وأحمد السفرجلاني (١٢٢٣-١٣١٢هـ=١٨١٨-١٨٩٤م) وإسماعيل اليعقوبي (١٣٠٠-١٣٨٠هـ=١٨٨٣-١٩٦٠م) أخذ الطريقة عن عمه الشيخ محمد مزيان اليعقوبي وبكري البعال (١٢٥٠-١٣٠٠هـ=١٨٣٤-١٨٩٣م) وأخذ الطريقة عن الشيخ المهدي السكلاوي وكان إماماً وخطيباً في جامع عز الدين في سويقة دمشق. ثم حسن جينة (١٢٤١-١٣٠٦هـ=١٨٢٥-١٨٨٨م) حلبى الأصل أخذ الطريقة عن الشيخ هاشم التاجي ثم سليم المسوتي (١٢٤٨-١٣٢٤هـ=١٨٣٢-١٩٠٦م) أخذ الطريقة عن الشيخ سعدي التاجي^(٢). ثم محمود الموقع (١٢٥٧-١٣٢١هـ=١٨٤١-١٩٠٤م) عالم وأديب^(٣). والملاحظ أن شيوخ الخلوتية الأوائل الذين أقاموا الخلوتية في دمشق هم من أبناء فلسطين، ويلاحظ أيضاً أنه لكل فرع في هذه الطريقة تقاليد تختلف عن تقاليد الفرع الآخر^(٤).

٣- الطريقة القادرية:

وتسمى بالطريقة الجيلانية أيضاً وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، والذي أسسها في القرن الخامس للهجرة في مدينة بغداد^(٥) أنجب عدة أولاد منهم يحيى وصالح وعبد الرزاق (٥٢٨-٦٠٣هـ) وعبد العزيز المتوفى سنة (٦٠٢هـ) فعمل كل من عبد العزيز وعبد الرزاق على نشر تعاليم والدهما ونشر مذهبه بجد وإخلاص بين الناس، وأبرز تلاميذهم علي الحداد في اليمن ومحمد البطاحي في سورية ومحمد بن عبد الصمد في مصر.

(١) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٦.

(٢) سعدي التاجي ولد سنة (١٢٣٦هـ) توفي سنة (١٢٧٩هـ)، فقه وعالم صوفي. الشطي، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، دار الملاح، دار الإحسان، دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٧٨م، ص ١٥-١٦-٣٥-٤٨-٧٢-١٢٢-٣٢٩.

(٤) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٥) الزوي، مرجع سابق، ص ١١١.

ولقد تميزت هذه الطريقة بأنها من أكثر الطرق الصوفية اتباعاً لسلوك الطريق القويم في اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم فلذلك امتدحها ابن تيمية^(١).

أما انتشارها فلقد تفرعت إلى عدة فروع شملت أقطار العالم الإسلامي مثل اليمن سورية مصر أفريقيا السودان والهند تركيا وأخذت مكانها بين أكبر الطرق الصوفية في العالم الإسلامي ويمكن تمييز مريدي هذه الطريقة من خلال ارتدائهم الزي الأخضر والعمائم البيضاء^(٢).

ولقد انتشرت القادرية في دمشق على يد آل الكيلاني الحمويين الذين قدموا إلى دمشق واستقروا فيها ومن أبرزهم إسحق الكيلاني ولد سنة (١١١١هـ/١٧٠٠م) وأخذ الطريقة عن والده، ولقد قصده الناس وعظمه الحكام والقضاة وكان ذلك بسبب ادعاء آل الكيلاني في نسبهم إلى مؤسس الطريقة عبد القادر الجيلاني، ومن أشهر مشايخهم أيضاً ياسين الكيلاني ومريده الشيخ حسين البيتماني الذي أخذ الطريقة عنه وقام بالتدريس في زاويتهم الكائنة تجاه الشيخ محمد الحميري في ميدان الحسا وكان يقيم الذكر في مدرسة إسماعيل باشا العظم بالخياطين وتوفي سنة (١١٧٥هـ/١٧١٣م) والشيخ أحمد البقاعي والشيخ طه الكردي المتوفى (١٢١٠هـ) والشيخ حامد العطار تلميذ طه الكردي والشيخ قاسم الحلاق المولود في دمشق سنة (١٢٢٣هـ) والشيخ محمد طه غزال^(٣)، أما في القرن التاسع عشر فأشهرهم: أحمد الجزائري وهو ابن عم الأمير عبد القادر الجزائري (١٢٤٩-١٣٢٠هـ/١٨٣٣-١٩٠٢م) أخذ القادرية عن الشيخ علي الكيلاني ورشيد الخطيب (الكبير) (١٢٦٧-١٣١٦هـ/١٨٥٠-١٨١٨م) دفن في باب الصغير، وشريف ضبيان (١٢٤٦-١٣٤٦هـ/١٨٣٠-١٩٢٧م) أقام حلقات الذكر في القببات في حي الميدان وثم عبد الباقي الجزائري (١٢٦٧-١٣٣٥هـ/١٨٥٠-١٩١٦م) وهو

(١) نغسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) نغسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٣) نغسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٤.

ابن أخ الأمير عبد القادر الجزائري أقام الذكر في جامع الخضيرية ثم محمد حجازي الكيلاني (١٢٨٦-١٣٦٠هـ/١٨٧٠-١٩٤١م)^(١).

ولقد اشتهر شيوخ هذه الطريقة بالتواضع وعدم إبراز الأبهة في مواكبهم على عكس بعض شيوخ الطرق الصوفية حينئذ، إلا أنهم من جهة أخرى كانوا يدعون إتيان الخوارق والكرامات. ولقد تفرعت هذه الطريقة كمثيالاتها إلى عدة فروع وكان أهمها في دمشق الفرع الكيلاني وأبرز شيوخها: الشيخ محمد سعيد الكيلاني المولود في دمشق سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م^(٢) وكانت لهم زاوية في حي العمارة وهي زاوية الكردي^(٣).

ومن فروعها أيضاً الفرع الصمادي الذي ينسب إلى الشيخ إبراهيم الصمادي الذي بنى زاوية للطريقة في داخل باب الصغير الجواني، ومن شيوخها الشيخ عبد القادر بن موسى توفى سنة (١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) والشيخ عبد القادر الصمادي الذي خلف والده على مشيخة الطريقة ثم الشيخ أحمد الكزيري توفى سنة (١٢٩٩هـ/١٨٨١م)^(٤).

ومن فروع القادرية الفرع المواهبي الذي كان تقام أذكاره في مسجد محلة سوقية الحجازين الذي تحول فيما بعد إلى زاوية لهذا الفرع ومن شيوخها حسن الزيات^(٥)، تعد الطريقة القادرية من أكثر الطرق الصوفية تفرعاً وانتشاراً في الوقت الحاضر في العالم الإسلامي، فلقد انتشرت في كل من بلاد المغرب العربي (مراكش - تونس - الجزائر) وفي السودان ومصر والنيجير (انتشرت على يد الصوفي محمد الأنصاري) ثم انتشرت في السنغال، ولقد كان للأزهر الشريف في القاهرة

(١) الفرفور، مرجع سابق، ص ١٨-٦٩-١٠٣-١٢٩-١٦٣-٢٥٦.

(٢) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) الحكيم، مرجع سابق، ص ٣٢٣. سجلات المحاكم الشرعية (رقم الوثيقة ٧٦) تاريخ ١٣١٥هـ ورد فيها براءة شرعية بتولية الشيخ عبد الله الكزيري ابن الشيخ كمال للتولي على مشيخة وقف مدرسة زاوية الكردي سوق العمارة بدمشق وهي تابعة للطريقة القادرية كما ورد في الوثيقة.

(٤) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٦-٧٧.

(٥) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٥.

دور إيجابي كبير في نشر أفكار الطريقة القادرية في تلك الأماكن في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي وشملت أيضاً أرتيريا والصومال والصحراء الكبرى وموريتانيا، ولقد ساعد انتشار هذه الطريقة في أفريقيا السوداء على دخول أعداد كبيرة من الناس في الدين الإسلامي في تلك البلاد، ولا بد من أن نشير هنا إلى أن الأمير عبد القادر الجزائري^(١) ووالده السلطان محيي الدين كانا من أهم رجال القادرية حيث كان السلطان محيي الدين شيخ القادرية وبعد وفاته خلفه ابنه الأمير عبد القادر في مشيخة الطريقة والإمارة في المنطقة^(٢).

٤- الطريقة المولوية:

وهي نسبة إلى جلال الدين الرومي "وذكرنا سابقاً تفصيلاً حول تأسيسها"، وجلال الدين الرومي هو "ابن بهاء الدين" الذي هاجر مع زوجته وأولاده ومنهم جلال الدين هاربا من اعتداءات المغول على بلاده أفغانستان متجهاً إلى الأناضول حيث وصل إلى حدود دولة السلاجقة الذين كانوا يحكمون الأناضول في حوالي (٦٠٦هـ/١٢١٢م) واستقر في قونية، وأنشأ هناك مدرسة للدعوة والإرشاد فيها.

وبعد وفاته ورثه ابنه جلال الدين الذي لقي الدعم من قبل السلطات السلجوقية في تلك الآونة فبنيت له مدرسة خاصة هناك، واجتمع له الكثير من الأتباع والمريدين ولقد جال جلال الدين في البلاد بحثاً عن الحقيقة حتى أنه وصل إلى دمشق فأشعل قلوب أهلها حباً به وإيماناً بفتاويه، وعاد بعد ذلك لكي يؤسس لمنهج جديد خاص به في العبادة وفي الحب الإلهي فكان منشأ الطريقة المولوية التي نسبت إليه (مولانا) ولقد اشتهرت هذه الطريقة برقصة (السيما) وهي أشبه برقصة السماح الأندلسية، وحتى أن أتباعه كانوا يعرفون في أوروبا بالدراويش الراقصين وما زال ضريح هذا الولي موجوداً في قونيه وقد أصبح الآن مزاراً للمريدين المتغنين بالمثالية والروحية في عالم مادي جامد

(١) عبد القادر الجزائري: (١٨٠٨-١٨٨٣م) ولد قرب معسكر (الجزائر) وتوفي بدمشق أمير عربي حارب الفرنسيين في الجزائر سنة (١٨٣٢-١٨٤٧) ثم اضطر للتسليم بعد معارك عديدة فنفى إلى دمشق دافع عن المسيحيين في دمشق في سنة ١٨٦٠. المتحد في الأعلام واللغة، ص ٢١٣.

(٢) الزوي، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧.

هو في أشد الحاجة إلى عودة الروح^(١). ولقد انتشرت هذه الطريقة في أنحاء الدولة العثمانية في بدايات القرن الرابع عشر وخاصة في منطقة الأناضول. وكان من الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انتشارها في الدولة العثمانية هو بعدها عن الخوض في الحياة السياسية والبعد عن المشاركة في الأنظمة التي هدفت إلى هدم النظام السياسي والاجتماعي القائم في الدولة بل على العكس حاولت دائماً أن تقف إلى جانب السلطة الحاكمة وبذلك حصلت على أوقاف كثيرة لها في البلاد وانتشرت تكاياها في جميع أنحاء البلاد حتى بلغت حوالي ٣٦٠ تكية وكان مركزها في قونية قلب الأناضول^(٢)، ولقد أنشأت لها أول تكية في دمشق في عهد الوالي العثماني حسن باشا (٩٩٣هـ) عرفت بتكية الدراويش وتقع بالقرب من جامع (دنكز) وهي باقية حتى أيامنا^(٣). وبقيت هذه التكية تقام فيها الرقصات المعروفة للمولوية وحلقات الذكر حتى مجيء أديب الشيشكلي^(٤) حيث أوقفت الأذكار فيها وصودر قسم من التكية وأعطى إلى وزارة الداخلية ليقام فيه مستوصف صحي ولقد أعيدت ممارسة الأذكار في التكية من جديد منذ سنة ١٩٩٥^(٥)، وكان يترأس مشيخة الطريقة بشكل دائم واحد من سلالة جلال الدين الرومي يطلق عليه اسم جلبي (أي السيد) لذا لم يستلم أحد الدمشقيين مشيخة هذه الطريقة وجميع من ورد ذكرهم في مشيختها في هذه المرحلة هم من أصل رومي، ولذلك لم يكن لمشايخها الدور السياسي البارز في دمشق كما هو الحال في مشايخ الطرق الأخرى في حين كان لشييوخها السطوة التامة

(١) فطر، سليمان، المولوية يرقصون السبما على أنغام جلال الدين الرومي مقالة في مجلة العربي، العدد ٣٤٨ -

نوفمبر ١٩٧٠، ص ١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٥١.

(٢) أوغلي، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٨-٤١٩. دائرة المعارف الإسلامية، مادة جلال الدين الرومي، مج ٢، ص

٧١-٧٢.

(٤) الشيشكلي: أديب الشيشكلي رئيس جمهورية سورية سابقاً، ولد في تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م في مدينة حمّاه

التحق بالمدرسة الحربية سنة ١٩٢٩م كان قائد الانقلاب السوري الثالث، تولى رئاسة الجمهورية سنة

١٩٥٣م وبقي حتى انقلاب شباط ١٩٥٤م. من هم في العالم العربي، ج ١، إصدار مكتب الدراسات

السورية والعربية، سنة ١٩٧٥، ص ٣٥٩.

(٥) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٨.

لدى أركان الدولة في استانبول وخاصة عند سلاطينها، فكان المجلس السلطاني في الأستانة يغص بمشايوخها^(١). ومن أبرز مشايخها في دمشق في هذه المرحلة الشيخ عبد الرحمن المولوي الرومي القوني نزيل دمشق وشيخ تكية المولوية ولقد كان حافظاً لكتاب "المنثوي" وهو الكتاب الذي ضمن فيه جلال الدين الرومي جميع أشعاره وحكمه، جاء دمشق واستوطن فيها، وكان شيخ الطريقة فيها وكان خاتمة مشايخ المولوية في دمشق وبعده لم يشابهه أولاده ولا الذين غدوا مشايخ لها من بعدهم وتوفي سنة (١١٥٧هـ/١٧٢٥م) ودفن في التكية المولوية في دمشق. والشيخ عبده أفندي ابن الشيخ صالح أفندي^(٢) وسعيد الأحمد المولوي الدمشقي الصالحي شيخ المولوية بدمشق، وكان قائماً على التكية المولوية بدمشق فكان يطبخ الطعام للمريدين والدرأيش ويقوم على خدمتهم ورعاية التكية توفي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ودفن في التكية^(٣).

ومن مريديها ومشايخها أيضاً في دمشق في هذه المرحلة رشيد عرفة (١٢٥٠-١٣٢٥هـ/١٨٣٤-١٩٠٧م)، وكان مؤذناً في جامع بني أمية دخل الطريقة سنة (١٢٧٠هـ) في عهد شيخها سعيد الأحمد فكان رئيس المنشدين في كافة التكايا والزوايا (أنشد أمام السلطان عبد الحميد الثاني ونزل عند أحمد عزت باشا العابد)^(٤) وسليم أبو سلوى المولوي (توفي سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٣م) شيخ المولوية^(٥). وصالح الدرويش (١٢٤٩-١٣٢٨هـ/١٨٣٤-١٩١٠م) المكنى بالدرويش لانتسابه للمولوية دفن في باب الصغير، وصبري المولوي (شيخ المولوية) توفي سنة ١٣١٥هـ-١٨٩٧م الحلبي الأصل ثم الدمشقي درويش شيخ المولوية بدمشق دفن بالتكية

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٩.

(٢) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٩.

(٣) الشطلي، مرجع سابق، ص ١٣٠-١٣١.

(٤) الفرغور، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٥) الخافظ، محمد مطيع، و أباطة، نزار، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، قدم له: دار الفكر،

ط ١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج ١، ص ١٨١.

المولوية وعارف الجابي توفي سنة (١٣٠٤هـ-١٨٧٩م) عارف بن محمد عثمانى الشهير بالجابي مولوي الطريقة^(١).

وكان من عادة هذه الطريقة إذا مات شيخها وضعت على قبره هيئة كسوته المولوية المتميزة التي كان يلبسها في حياته، وكانت تعقد مجالسها في يوم الإثنين والجمعة من كل أسبوع ثم فيما بعد أصبحت تعقد بالإضافة إلى هذين اليومين في ٢٧ رجب والنصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج والمولد النبوي وليلة القدر وتتقدم جناز الأعيان والأثرياء وبعض الصالحين، وكانت برئاسة شيخها أيضاً تشارك بقية الطرق الصوفية الأخرى في توديع شهر رمضان وذلك في الجامع الأموي^(٢) الكبير بدمشق.

٥- الطريقة الرفاعية:

وهي الطريقة التي أسسها الشيخ الصوفي أحمد الرفاعي^(٣) في القرن السادس للهجرة وتدعو إلى نبذ البدع وتنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي لحقت به، فضلاً عن أنها تحث على العمل وترك الكسل وتشجع على الصدق والإخلاص وحسن الخلق وتؤكد على أن كل حقيقة تخالف الشريعة زندقية^(٤). وتعرف أيضاً بالبطاحية نسبة إلى الشيخ الرفاعي منصور البطاحي، الذي أعطاه الخرقة

(١) الزعفرور، مرجع سابق، ص ١٤٣-١٤٤-١٦٢.

(٢) نعيسة، مرجع سابق ج ٢، ص ٤٢١-٤٢٢.

(٣) أحمد الرفاعي: (٥١٢-٥٧٨هـ-١١١٦-١١٨٢م) هو الشيخ أحمد محي الدين أبو العباس المعروف بالسيد الكبير ابن أبي الحسن علي بن يحيى بن أبي حازم ثابت بن علي الحازم أبي الفوارى بن أبي علي أحمد المرتضى ابن علي أبي الفضائل بن الحسن الأصغر ورفاعة الهاشمي الملكي ابن أبي رفاعة المهدي بن أبي الفاسم محمد بن الحسن أبي موسى بن عبد الرحمن الرضي بن أحمد الصالح ويقال له الأكبر ابن السيد موسى الثاني بن أبي محمد إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام أمير المؤمنين الحسين الشهيد بكر بلاء ابن السيد الإمام أمير المؤمنين وزير سيد المخلوقين أسد الله الغالب سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام. محمد، خطار يوسف، السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية، المركز العربي بدمشق، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٣-١٤.

(٤) الزوي، مرجع سابق، ص ١٤٢.

الصوفية^(١)، ولقد تفرعت الرفاعية إلى فروع عديدة بل كثيرة ولا تزال تتفرع على المستوى الصوفي الشعبي فيكفي أن يضع شيخ الزاوية نسبة الرفاعي إلى نسبته حتى يفتلق عليه الشيخ الرفاعي وهم كثر في واقع الحال، فهناك في الوقت الحالي في المنطقة الكثير من الطرق الرفاعية التي لا يعرف سندها أو سلسلتها الصوفية والكثير منهم يدعي النسب العصبي بالرفاعي وبالتالي بآل البيت^(٢).

وأشهر فروعها في دمشق الفرع الجبائي أو السعدي وينسب إلى سعد الدين أبي محمد الشيباني الجبائي الذي أخذ الطريقة عن والده مؤيد الشيباني واتخذ لها رواقاً في قرية جبا من أعمال دمشق، ولقد اتخذت الطريقة الجبائية اللون الأخضر زياً لها وانتشرت في البلاد الشامية واستابول، وكان لها في دمشق أكثر من مكان لإقامة الأذكار والأوراد، وكان لها زاوية في القبيبات لإقامة الأذكار فيها ولآل سعد الدين الذين خصص لهم زاوية في الشاغور البراني حيث كان لها أوقاف خاصة بها، وكانت هذه الطريقة تقيم حفلة أذكار لها في الجامع الأموي يوم الجمعة بعد الصلاة، وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت تقيم أذكراها في كل أسبوع ليلة الجمعة وليلة الإثنين في المقام التوحيدي في محلة القيمرية، وأقام فقراء هذه الطريقة في مسجد تركي حسن في الميدان الفوقاني^(٣). ولقد انحصرت مشيخة هذه الطريقة في أبناء وأحفاد وأسباط مؤسسها سعد الدين الجبائي سواء في دمشق أو في بعض المدن الشامية، فلقد دلت وثائق وسجلات المحاكم الشرعية في دمشق على هذا الأمر، فأغلب فرمانات ومراسم تولية مشايخ^(٤) الطريقة ورعاية زواياها، أكان في دمشق أو ما حولها بينت بأنهم من أبناء وأحفاد مؤسس الطريقة. ولقد جلبت هذه

(١) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٤) الحكيم، مرجع سابق، الوثيقة (رقم ٤٢٦ تاريخ ١٢٩٣ قضت بتولية محمد سعد الدين الجبائي على مشيخة وقف زاوية الجبائي في دمشق وثيقة رقم ٣١٦ تاريخ ١٢٩٤، تولية الشيخ محمد ناج جبائي بن إبراهيم على مشيخة زاوية الجبائي في محلة القبيبات في الميدان بدمشق والوثيقة رقم ١٧٢ تاريخ ١٣٢١ والوثيقة رقم ٢٧٣ ١٣٢٧هـ. الحكيم، الأوامر السلطانية، ص ١٤٥، ١٥٨، ٣٦٢، ٣٩١.

الطريقة لآل الجباوي وسعد الدين المال والجاه الاجتماعي في دمشق وغيرها وبسبب هذه الامتيازات نشبت خلافات بين أفراد هذه الأسرة على ترأس مشيختها والملك السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي حظيت به، وكان لها أماكن لإقامة الأذكار والأوراد الخاصة بها^(١)، وكان للطريقة زوايا كثيرة في دمشق كما أسلفنا، وكان لها زاوية في حمص وحلب آنذاك والزاوية التي في الميدان في دمشق ما يزال يجتمع بها آل الجباوي ومحبوهم حتى أيامنا هذه وقيمون الأذكار والأوراد فيها ولكن ليست كممارسة صوفية بل أقرب ما تكون إلى سهرة دينية عائلية، ولقد فتحت منذ وقت قريب بعد أن ألغيت نتيجة المرسوم الجمهوري في عهد الشيشكلي^(٢). ولقد عمل شيوخها بمعالجة المجانين وشاركوا في الاحتفالات الدينية والعامة المختلفة سواء في زواييتهم الخاصة أو في الجامع الأموي أو في السيارات التي كانت تطوف في دمشق في تلك المناسبات وعد مشايخها من أعيان دمشق وخاصة رجال دينها وكان يحسب لهم حساب في كل محفل وحين البأس ويشاركون في استقبال الولاة العثمانيين ورجالاتهم.

ومن فروعها في دمشق الفرع الشيباني أو الطريقة الشيبانية وكانت تقيم أذكارها كل ليلة جمعة من الأشهر الثلاث (رجب - شعبان - رمضان) في الساحة البرانية من المدرسة التقوية الشافعية في دمشق^(٣)، والطريقة التغلبية نسبة إلى آل التغلبي، والطريقة الرشيدية والشاذلية التي سنفرد لها بحثاً خاصاً لأهميتها وانتشارها في دمشق وبلاد الشام بشكل عام^(٤).

ومن رجالات الطريقة الرفاعية في هذه المرحلة أحمد الحلواني الكبير (١٢٢٨- ١٣٠٧هـ/١٨٩٠-١٨١٣م) يصل بنسبه إلى أحمد الرفاعي - أحمد الحارون الحجار

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) العسكري، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) نعيسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٤) سجلات المحاكم الشرعية بدمشق رقم الوثيقة (١٥) تاريخ (١٢٩٧هـ) براءة شرعية شريفة باسم الشيخ عبد المحسن بن بونس لوظيفته منيخة تكية الطريقة الشيبانية في زقاق السبع طوابع الشام). الحكيم، الأوامر السلطانية، ص ٢٤٤.

العسل (١٣١٥-١٣٨٢هـ/١٨٩٨-١٩٦٢م) رفاعي النسب والطريقة واتصل بمحمود أبو الشامات - ثابت الحلواني (١٣٠٩-١٣٩٧هـ/١٨٩٢-١٩٧٧م) صالح تقي الدين (١٢٥٦-١٣١٠هـ/١٨٤٠-١٨٩٢م) نقيب الأشراف - أخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ حسن وادي صيادي - علي الحلواني (١٢٢٧-١٣١٢هـ/١٨١٢-١٨٩٤م) شيخ الطريقة الرفاعية بدمشق^(١).

٦- الطريقة الشاذلية:

وهي الطريقة التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي^(٢) في تونس في القرن الثالث عشر الميلادي وعنه انتشرت في شمال أفريقيا وفي مصر ولها مريدون حتى اليوم في جميع هذه البلدان وأشهرهم أبو العباس المرسى المدفون في الإسكندرية، ولها فروع بلغت ١٥ فرعاً مثل الوفاية والجزولية وغيرها التي سنورد ذكرها لاحقاً^(٣).

وحسب رأي مريدي الطريقة فإنها ترجع بنسبها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهذا يؤكد ما أوردناه سابقاً بأنها فرع من الرفاعية وترجع إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثم إلى جبريل عليه السلام، ثم إلى رب العزة جل جلاله. ويرون أنفسهم أنهم مختارون من اللوح المحفوظ^(٤).

وتفرعت الشاذلية كغيرها من الطرق الصوفية إلى فروع عديدة ولكل فرع شيخه المتصف بالعلم والعمل معاً وكان من أبرز مشايخها عبد الفتاح السباعي^(٥) الذي أخذ

(١) الفرفور، مرجع سابق، ص ٥٢-٢٦-٥٧-٤٢-٢٠.

(٢) هو أبو الحسن الشاذلي: ولد سنة (٥٩٣هـ/٧٩٦م)، وتوفي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) الحسين بن عبد الله بن ثميم ابن هرم بن حاتم بن قصي بن يوسف بن بوشع بن ورد بن بطلال علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد ابن سيد شباب الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣) الزوي، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٤) العسكري، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٥) عبد الفتاح السباعي بن محمد المعروف بالسباعي الخنفي الحمصي ألف في النحو والفقه والتوحيد، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ عبد الغني المغربي، وولي إفتاء حمص عدة سنين، توفي في القسطنطينية سنة ١١١١هـ. المرادي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٣.

الطريقة عن الشيخ عبد الغني الغزي المتوفى سنة (١١١١هـ/١٧٠٠م)، وقد سميت فروع الشاذلية بأسماء مؤسسيها في دمشق وفلسطين كآل الوفا والسفرجلاني واليشرطي وغيرهم ومن مشايخها أيضاً آل العش وأبو الشامات والعجلوني والقاسمي ومن أبرز شيوخ الطريقة الشاذلية في دمشق حسن السفرجلاني المتوفى سنة (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)، وصالح العش الذي أخذ الطريقة عن القطب الشهير محمد القاسمي المكي ثم الشيخ أحمد العجلوني المولود في دمشق سنة ١١٧٠ الذي أخذ الطريقة عن والده وتوفي سنة ١٢٥٢هـ^(١). وبالنسبة لفروع الشاذلية في دمشق فهي: الوفاية - السفرجلانية - الأويسية - الهاشمية التلمسانية - الصادية - الدرديرية - اليشرطية - الرشيدية - الدندراوية وهي من فروع الشاذلية المستمرة في دمشق ولا تزال للطريقة الدندراوية زاوية في جسرين في الغوطة الشرقية بدمشق وكذلك لها زاوية في الميدان الفوقاني^(٢).

وعلى الرغم من تنوعها فلم يكن لها الأهمية ذاتها في دمشق وكانت أهمها الوفاية ومن أشهر شيوخها أبو الأنوار شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عازفين سبط بني الوفا الذي توفي في ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م وكان لها فرع في حلب^(٣).

ثم الفرع السفرجلاني الذي أسسه صالح بن محمد بن عبد الرحمن السفرجلاني (١١٤٨-١٢٢٥هـ/١٧٣٦-١٨٤٠م)، ثم الفرع الأويسية الذي ينسب إلى الشيخ أويس الرومي الذي كان له اثنا عشر ألفاً من المريدين، ولقد اعتقد أصحاب هذا الفرع أن الولي إذا مات انقطع مدده واختفت كراماته^(٤)، بينما ترى كافة الطرق أن مدد الشيخ وكراماته لا تنقطع بموته، وبعضهم يرى أن الشيخ عندما يموت كالسيف عندما يسحب من غمده وبذا تبدأ كرامات الولي الميت وتدخله

(١) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٢) العسكري، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٣) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٣.

(٤) نعبسة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٣. والعسكري، مرجع سابق، ص ٨١.

بشؤون مريديه الأحياء، ومن شيوخها سعيد الغبرة الذي كان يقيم الذكر في المدرسة الجقمقية، ثم الشيخ عبد الحليم العجلوني المتوفى سنة ١٢٨٠هـ^(١).

ثم الفرع الشرطي الذي دخل إلى عكا من ترشيحا ثم انتقل منها إلى داريا في دمشق، وكان من شيوخها أبناء أبي ريشة، وأبي الشامات، وكانت ولا تزال زاوية أبي الشامات موجودة في القنوات، ومن شيوخ الشاذلية الشرطية في دمشق أيضاً سعيد الخالدي المولود سنة (١٢٢١هـ/١٨٠٧م) ثم أبو بكر الكردي، وحسن البيطار وعبد الغني العطار وعبد الرحمن الكزيري وحامد العطار ومحمود أبو الشامات وغيرهم. وقد قام بنقل هذا الفرع من ترشيحا إلى داريا خالد البقاعي حيث اتصل بسعيد الخالدي المذكور وأعطاه الطريقة، ولقد أثار نقمة علماء دمشق بتصرفاته الشاذة عن طريق الإسلام مدعياً أن ذلك من جوهر الدين بحسب فهمه وقد ردت فاطمة الشرطية على هذه الاتهامات وهي من شيوخ الطريقة في القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي موضحة منهج الشاذلية الشرطية^(٢).

ومن مشايخها أيضاً محمد الطيب الجزائري (١٨٣٩-١٨٩٥م) ولد في دلس في الجزائر ثم قدم مع والده إلى دمشق في هجرة المغاربة الأولى سنة ١٢٦٣هـ وهو شيخ الطريقة الشاذلية الفاسية التي أخذها عن الشيخ محمد الفاسي الشاذلي عندما قدم دمشق سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)^(٣).

وعبد الغني البيطار (١٨٢٤-١٨٩٧م) الذي أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي، وسليم بن محمد بن يوسف سمارة (١٨٣٨-١٩٠٩م) الذي أخذ الطريقة عن الشيخ محمد الفاسي، ومحمود أبو الشامات (١٨٤٩-١٩٢٢م) الذي أخذ الطريقة الشاذلية الشرطية عن الشيخ علي نور الدين الشرطي المغربي نزيل دمشق وخلفه من بعده في رئاسة الطريقة، ومحمد عبد الباري (١٨٧٦-١٩٥٧م) الذي سلك الطريقة على يد الشيخ محمد الهبري الكبير.

(١) الشطي، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٢) نغسة، مرجع سابق ج ٢، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) الحافظ، مرجع سابق، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣.

وأحمد التلمساني (١٨٩٩-١٩٥٩م) الذي تولى مشيخة الطريقة في الشاذلية في دمشق ولد بتلمسان.

ومحمد الهاشمي (١٨٨٠-١٩٦١م) تلمساني المولد، هاجر مع شيخه محمد بن يلس إلى الشام وهو أحد رجال السلسلة الشاذلية، ومن تلاميذه: محمد سعيد البرهاني وعبد القادر عيسى الحلبي في سورية، سعيد الكردي في الأردن، محمد النبهان الحلبي وهاشم السيد الدوماني ومحمد بشير القهوجي في سورية، وهي من أكثر الطرق الشاذلية انتشاراً في سورية^(١). ومن مشايخ وأتباع الشاذلية في دمشق: أحمد الحارون العسل ولد بدمشق (١٩٠٠-١٩٦٢م) وعبد الوهاب الصلاحي (١٨٩٠-١٩٦٢م) وهو من مشايخ الطريقة الرشيدية، ومحمد سعيد البرهاني (١٨٩٢-١٩٦٧م) وعبد الرحمن الخطيب (١٨٧١-١٩٤٠م) وعمر العيطة (١٨٦٥-١٩٤١م) ومحمد صالح الأمدي (١٨٤٦-١٩٥٠م) ومحمود أبو الشامات (١٨٥٠-١٩٢٢م) وهو من رجال السلطان عبد الحميد الثاني. والشيخ أحمد الحارون وابنه عبد الرحيم، وعبد الله أبو الشامات (١٨٨٠-١٩٦٢م) ومحمد العربي اليعقوبي (١٨٧٤-١٩٦٣م) وغيرهم كثيرون، وتعد هذه الطريقة من أكثر الطرق انتشاراً واتباعاً في الوقت الحالي في دمشق وسورية بشكل عام^(٢).

من خلال استعراضنا لهذه الطرق التي في أغلبها نشأت وترعرعت في دمشق في العهد العثماني، نلاحظ ما يلي:

على الرغم من الدور الكبير الذي أدته هذه الطرق في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد إلا أنها لم تكن في المكان الصحيح والمناسب للمسؤولية التي كانت ملقاة على عاتقها من قبل أتباعها ومريديها.

وعلى الرغم من أنه في كثير من البلاد العربية والإسلامية قد كان لكبار رجالات الصوفية ومشايخها دور في الثورات ضد الاحتلال بمختلف أشكاله في البلاد، فهؤلاء عندما حصلت البلاد على حريتها واستقلالها كانوا أبعد ما يكون

(١) العسكري، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢.

(٢) العسكري، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥.

عن السياسة والقيادة في بلادهم، فما السر وراء هذا الأمر؟ على ما يبدو فإن هؤلاء قد اكتفوا بالدور القيادي لهم في الطليعة، واكتفوا بخضوع وطاعة المريدين لهم والتي ما تزال مستمرة حتى الآن، فكثير من مشايخ الطرق ورؤسائها في البلاد العربية ما زالوا يتوارثون هذا المنصب جيلاً بعد جيل، متمتعين بسلطات قوية على أتباعهم ونفوذ قوي في بلادهم وذلك لما لهم من قوة اقتصادية ومن قوة تأثير على العامة، وعلى ما يبدو فإن هذه الطرق على الرغم من أهميتها الكبيرة ودورها في الحياة الاجتماعية للبلاد العربية فقد انحصر دورها بالدور الذي قام به مشايخها والذين كانوا في كثير من الأحيان يقدمون رغباتهم ومصالحهم الشخصية على مصلحة الأمة والبلاد، فتمتع الكثير منهم بالحياة الرغيدة والرفاهية في وقت كان فيه السواد الأعظم من مريديهم يعيش فقراً مدقعاً وحياة بائسة، ولكن لا بد لنا من أن نقر أن من أولى الشخصيات التي واجهت الاحتلال الأجنبي في أوائل القرن العشرين وأبرزها كانوا من مشايخ الصوفية وأربابها من أمثال الشيخ صالح العلي في سوريا، وعمر المختار في ليبيا، وعبد الكريم الخطابي في المغرب العربي، وغيرهم كثيرون وهذا يدلنا على أنه في بعض الأحيان عندما كان يتوفر في رجالات الصوفية الصدق والغيرة الحقيقية على البلاد يكونون في أوائل المصلحين وأوائل المناضلين في سبيل حرية بلادهم، وهذا بالتالي له دور إيجابي كبير في دفع أعداد كبيرة من مريديهم نحو النضال والتضحية والفداء.

ثانياً - التكايا والزوايا والربط:

لقد اهتم العثمانيون منذ دخولهم البلاد الشامية بالتكايا والتركيز على بنائها ثم ما لبثوا أن استبدلوها بالخوانق التي كانت منتشرة بشكل كبير في دمشق قبل قدوم العثمانيين - عرف صاحب خطط الشام محمد كرد علي الخوانق^(١) بما يلي: "الخائفاء: كلمة فارسية قيل: أصلها خونكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك،

(١) الخوانق، مفردة خائفاء، مصطلح فارسي يعني بيت أي مقر الدراويش والمرشدين. (مر تعريفها سابقاً).

وهي زوايا الصوفية واتخذت على هذا النمط في القرن السادس وكان أول من بناها من الملوك بمصر - كما قال السيوطي^(١) - السلطان صلاح الدين الأيوبي ورتب للفقراء الواردين أرزاقاً معلومة.

وقيل إن أول خانقاه بنيت في الإسلام للصوفية زاوية برملة بيت المقدس بناها أمير النصارى حين استولى الفرنج على الديار القدسية.

ولقد بلغ عدد الخوانق في دمشق حوالي ست وعشرين أشهرها: الأسدية في باب الجابية، والإسكافية على نهر يزيد، والأندلسية والباسطية في الجسر الأبيض، والحسامية الشبلية والخاتونية والدويرية والروز نهارية والسمساطية والشومانية والشهابية والشبلية والشبناشية والشريفية وخانقاه الطاحون والطواوسية والعزية وخانقاه القصر والقصاعية والكججانية والمجاهدية والنهرية والنجيبيية والناصرية واليونسية. ومن الخوانق الحديثة خانقاه "أحمد باشا" الشهير بين أمراء العثمانيين بشمسي أحمد باشا الذي تولى دمشق، وأثناء ولايته الطويلة بنى خانقاه قبالة قلعة دمشق من الجهة القبليّة ملاصقة لخندق القلعة وجعل فيها حجرات للصوفية وهي من محاسن مدينة دمشق وما زالت هذه الخانقاه عامرة ولكن تحولت إلى جامع^(٢). لقد انتشرت التكايا أو الربط وتم التركيز عليها كما أسلفنا منذ قدوم العثمانيين. والرباط ويقال له التكية بالتركية وهي نفسها الخانقاه بالعجمية هي دار الصوفية فالزوايا والربط والتكايا والخانقاه هي أماكن مخصصة لأهالي الطرق الصوفية وإقامة الأعمال الصالحة والعبادة فيها^(٣).

(١) السيوطي: (٨٤٩-٨٩١-١٤٤٥-١٥٠٥م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضري السبوطي، جلال الدين، إمام حافظ ومؤرخ وأديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة من كتبه تاريخ الخلفاء، وتفسير الجلالين وجمع الجوامع أو الكتاب الكبير والخواوي للفتاوي وغيرها كثير، ولد ونوفي في القاهرة ودفن فيها. الزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٠١.

(٢) كرد علي، خطط الشام، مرجع سابق، ج٦، ص ١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤) ومن أجل التوسع في معاني أسماء هذه الخوانق انظر نفس المصدر ص ١٣١-١٣٢-١٣٣.

(٣) كرد علي، مرجع سابق، ج٦، ص ١٣٤.

بنى العثمانيون التكايا على أسس متينة وعلى مساحات كبيرة من الأرض وأدخلوا الأنماط الهندسية الروحية في بنائها فكانت غاية في الجمال والروعة. ولقد أوقفت لهذه التكايا الكثير من الأوقاف للصرف عليها وصيانتها ولتأمين جارية الدراويش المقيمين فيها والصرف على طلاب العلم والموظفين فيها، ويتكون بناؤها من غرف لمبيت الدراويش ومسجد للصلاة وغرف للتدريس ومطابخ ومخابز وكلارات (بيت المؤونة) ودورات مياه وميضات وبحرات ماء بها فسقيات وسقايات وهي مزودة بالفرش والكتب والقناديل من النحاس.

هذا وقد ألحقوا بها الترب وعينوا لها الموظفين من اختصاصات مختلفة من نظار للأوقاف ومدرسين ومؤذنين وخطباء وأئمة قراءة القرآن وغيرها من الوظائف. وقد اشتهرت التكايا كما أوى للفقراء واليتامى وأبناء السبيل وكثيراً ما كانت تقدم وجبات الطعام لهؤلاء الفقراء والمحتاجين، ولقد وصل عدد الصوفيين فيها أحياناً إلى ثلاثمائة صوفي لكل واحد منهم عدد من أرغفة الخبز وكمية من اللحم والمرق والحلوى والصابون والكسوة^(١).

وأول من أوجد التكية في دمشق هو السلطان سليم الأول ثم سليمان القانوني وسار على منوالهما بعض الولاة العثمانيين والأثرياء، ولقد تهدمت بعض هذه التكايا نتيجة للزلازل والكوارث التي لحقت بالمدينة ولكن أعيد بناؤها مرة أخرى كما حصل بعد زلزال سنة (١١٧٣هـ/١٧٥٩-١٧٦٠م)، وقد حافظت هذه التكايا على دورها في القيام بالمهام الدينية والاجتماعية في المدينة حتى مطلع القرن العشرين^(٢).

(١) نعيمة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) نعيمة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠.

أهم التكايا:

١- التكية السليمية:

أنشأها السلطان سليم بعد فتح مدينة دمشق مباشرة سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)^(١) في منطقة الصالحية، وتتألف من تكية مستقلة لطبخ الطعام وتوزيعه على الفقراء ومن جامع وترتبه أقيمت على ضريح الشيخ محيي الدين^(٢) بن عربي حيث أقيم هذا العمل العمراني تكريماً لهذه الشخصية حيث كان السلطان يجلها^(٣)، وقد أوقف لها السلطان أوقافاً خاصة ما يزال بعضها إلى الآن وما زالت آثار هذه التكية باقية حتى الآن وقد ألحقت بمعاهد الجامعة السورية^(٤).

لقد اشتملت التكية على بيت للفقراء من الرجال وآخر للنساء، وثلاثة حواصل للمؤن ومطبخ كبير، وفيه فرن يخبز قنطارين في اليوم، ويطبخ المطبخ ستين رطلاً (١٥٠ كيلو غرام) من اللحم، وفي يوم الخميس يطبخون الرز المفلفل مع اللحم ومعه رز بعسل وقد أغلقت التكية اليوم^(٥).

٢- التكية السليمانية:

بنيت بأمر من السلطان سليمان القانوني سنة (٩٦٢هـ/١٥٥٤-١٥٥٥م) وذلك في مكان القصر الأبلق الذي بناه الظاهر بيبرس^(٦) الذي هدم في زمن

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٠.

(٢) محيي الدين بن عربي: محمد بن علي الحائمي الطائفي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م): ولد في مرسية (الأندلس) ونوفي بسفح قاسيون في دمشق صوفي بلبق بالشيخ الأكبر أقام ٣٠ عاماً في إشبيلية ثم رحل إلى الشرق كان ظاهرياً في العبادات باطناً في الاعتقاد، له أربعة مصنف منها: الفتوحات المكية - خصوص الحكم وترجمان الأشواق وجامع الأحكام). المنجد في اللغة والأعلام، ص ١٢.

(٣) الربخاري، عبد القادر، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دمشق، ١٩٦٩، ص ٧٦.

(٤) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٨.

(٥) العلي، أكرم، حطوط دمشق، دمشق، دار الطبايع، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٣٥٠.

(٦) الظاهر بيبرس: رابع سلاطين المماليك البحرين (١٢٦٠هـ/١٢٧٧م) ومؤسس سلطان المماليك الحقيقي من مماليك الملك الصالح الأيوبي رافقه بسجنه في الكرك. قاد معركة المنصورة التي انتهت بأسر الملك لويس التاسع الملك الفرنسي، حارب في عين جالوت ضد التتر بقيادة الملك المظفر "قنظر". المنجد في الأعلام واللغة، ص ١٥٦.

تيمورلنك^(١) ثم بنيت مدرسة في شرقيها ألحقت بالتكية سنة (٩٦٦-٩٦٧هـ/١٥٥٩م) وهي السنة نفسها التي توفي فيها السلطان سليمان القانوني أي (١٥٦٦م)^(٢).

استغرق بناؤها ست سنوات وكان بناؤها فريداً ومميزاً كما كانت تحفة حقيقية في مدينة دمشق، وهي من تصميم وإشراف المهندس العثماني الشهير سنان باشا، وكان القصد الرئيسي من بنائها هو إيواء الطلبة الغريباء وإنشاء مكان واسع يستقر فيه الحجاج الأتراك ولإقامة الأسواق فيها خارج المدينة المزدحمة^(٣)، أما بالنسبة للمدرسين ونظار التكية فكانوا يجلبون من استانبول وقد بلغ عددهم حوالي ١٠٠ موظف، وقد تعرضت التكية لزلزال سنة (١١٥٩هـ/١٧٤٦-١٧٤٧م) فقام الدفتردار فتحي القلانسي بتجديد مآذنها وترميمها^(٤).

ولقد أوقف للتكية تسع وثلاثون قرية منها الزيداني وصيدنايا وعقربا ودوما وغيرها وبلغت المساحة الإجمالية للتكية حوالي أحد عشر ألف متر مربع^(٥). رمت التكية أثناء الحرب العالمية الأولى ثم استولت عليها الجامعة السورية بعد الاستقلال وجعلتها مخاير لمدرسة الطب^(٦)، وحالياً اتخذت متحفاً حربياً.

٣- التكية المولوية (المولويخانة):

تقع في ساحة الحجاز غرب جامع دنكز خارج أسوار مدينة دمشق بنيت سنة (٩٩٣هـ/١٥١٧-١٥١٨م) في عهد حسن باشا العثماني للطريقة المولوية، واليوم هي

(١) تيمورلنك: أو تيمور الأعرج (١٣٣٦-١٤٠٥م) ملك المغول وحفيد جنكيز خان ولد في كاش بالقرب من سمقند (تركستان)، واحتل موسكو، انتصر على السلطان العثماني بايزيد الثاني في معركة أنقرة (١٤٠٢م) اتخذ سمقند عاصمة له. المتجدد في الإعلام واللغة، ص ٢٠٠.

(٢) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٠-١٦١.

(٣) العلي، مرجع سابق، ص ٣١٣-٣١٤.

(٤) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦١. العلي، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٥) العلي، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٦) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٨-١٣٩.

عبارة عن مصلى مستطيل قبي شماليه تابوت من خشب لأحد الأولياء وفي الشرق ساحة وغرف فيها جمعية النهضة الإسلامية^(١).

٤- التكية النقشبندية:

وهي تابعة للطريقة النقشبندية في محلة الفحامين بالقرب من باب سريجة.

٥- تكية شمسي أحمد باشا:

الوالي العثماني على دمشق في عهد السلطان سليمان القانوني، تقع مقابل قلعة دمشق وفيها حجرات للصوفيين ولها وقف يطبخ فيه كل ليلة بعد العصر لإطعام زوارها والمجاورين لها.

٦- تكية خالد أبي بهاء ضياء الدين النقشبندي الدمشقي:

وتقع في الصالحية في محلة الأكراد أقيمت سنة (١٢٤٢هـ) بعد وفاته وذلك بأمر من السلطان عبد المجيد، تتألف من قبة فوق ضريحه ومسجد وعدد من المقصورات للمريدين ومطبخ وبركة ماء^(٢).

الزوايا والربط:

الزوايا كالحانقات والرباطات فهي مأوى للصوفية والمتعبدين إلا أنها تقام فيها الأذكار^(٣) ولقد كثرت الزوايا بكثرة الطرق الصوفية وكان لبعض الطرق أكثر من زاوية في دمشق سواء كانت مراقدة للعظماء أو الصحابة أو التابعين أو العلماء العاملين أو الزهاد أو بنيت خصيصاً لذلك، وكان الناس يقصدونها للزيارة

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٢. العلي، مرجع سابق، ص ٣١٥.

(٢) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) تعددت الآراء حول سبب التسمية: فمنهم من يرى أن كلمة زاوية كانت تطلق على صومعة الراهب المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى حيث ينحلق المريدون فيه حول شيخهم إن كان حياً أو حول قبره إن كان ميتاً ومنهم من يرى أنها مدرسة دينية ودار للضيافة الخانية ويرى آخرون أنها كالحانقات والرباطات إلا أنها تقام فيها الأذكار. العسكري، عبود، دراسة مقارنة التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص ٥٦. دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها بالعربية أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يوسف، مصر ١٩٣٣، مج ١، ص ٢٣١.

والتبرك^(١). وأقدم ذكر للزوايا في دمشق كان في القرن السابع ومن أشهر وأقدم الزوايا التي وجدت بدمشق أوائل القرن السابع هي الزاوية اليونسية (٦١٥هـ) والزاوية القلندرية (٦١٦هـ)، لقد بلغ عدد الزوايا في عهد المماليك (عشرين زاوية) وارتفع عددها في العهد العثماني إلى ما يقارب الخمسين وما يزال بعضها قائماً إلى اليوم يؤمها المريدون ويطبقون فيها الذكر والنوبة ولا سيما في المواسم الدينية، ومن هذه الزوايا: الزاوية السعدية والغواصية في الميدان والرشيديّة في الميدان والشاذلية (الشرطية) في القنوات والسعدية في القيمرية والتكية المولوية في شارع النصر. وحتى عام ١٩٩٥م كانت ما تزال تقام الأذكار في هذه الزوايا^(٢).

أما الربط فهي جمع رباط وهي دار يسكنها أهل طريق الله، والرباط إذا وجد في مناطق الثغور فهو للجهاد والعبادة، وإن وجد في العواصم فهو للعبادة والعزلة، وهو بذلك لا يختلف عن الخانقاه إلا بالاسم، والرباط للرجال والنساء وإن غلب اسمه على النساء، وكان في دمشق في عصر المماليك عشرون رباطاً تقريباً^(٣).

أهم الزوايا الموجودة في مدينة دمشق حتى أواخر العهد العثماني:

يعود ذكر أقدم زاوية في دمشق إلى سنة (٦٠٠هـ) وهي الزاوية الأرموية، وكان للزوايا دور اجتماعي هام في مدينة دمشق فهي عبارة عن ملتقى للمؤمنين من أبناء البلد الواحد أو البلدان المجاورة كزاوية المغاربة في دمشق أو أبناء العجم أو الهنود أو الأكراد، وكانت الزاوية تتألف من غرفة للضيوف والحجاج والمسلمين الطلبة ويلحق بها مقبرة يدفن فيها أولئك الذين نذروا حياتهم لهذه الزاوية والتعبّد فيها.

ومع ازدياد عدد المريدين وازدياد عدد الطرق الصوفية أصبحت هذه الزوايا ذات أهمية سياسية بالإضافة لأهميتها الاجتماعية، فكان القائمون عليها من أصحاب الطرق ورؤسائها ذوي جاه ومال وسلطة سياسية، وكثيراً ما نشبت نزاعات فيما

(١) نغيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٤. كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٦.

(٢) العسكري، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) العسكري، مرجع سابق، ص ٥٤. العلي، مرجع سابق، ص ٣٩٠. كرد علي، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

بينهم على السيادة حتى وصلت في بعض الأحيان إلى التناحر ما بين أفراد العائلة الواحدة حول زعامة الطرق ورياستها^(١).

ومن أشهر الزوايا القديمة في دمشق: الزاوية الأرموية ٦٠٠هـ (اندثرت)، الزاوية الدينورية ٦١٠هـ (اندثرت)، الزاوية القلندرية الدركزية ٦١٦هـ (آثارها باقية على يسار مقام السيدة سكينة)، الزاوية اليونسية ٦١٥هـ (اندثرت)، الزاوية الدينورية الشيعية ٦٢٠هـ/١٢٢٣م (اندثرت)، الفرنشية ٦٢١هـ/١٢٢٤م (ما تزال قائمة بالقرب من المدرسة المرشدية)، الزاوية الحريرية ٦٢٥هـ/١٢٢٧م (اندثرت)، الزاوية الصوابية ٦٣٢هـ/١٢٣٤م (لا أثر لها اليوم)، الزاوية القوامية البالسية ٦٧٠هـ/١٢٧١م (بقي منها القبور والقبّة)، الزاوية الدهستانية ٧٠٠هـ/١٣٠٠م (هدمت سنة ١٣٢٠هـ)، الزاوية الحريرية الأعقفية ٧٠٥هـ/١٣٠٥م (تقع في المزة)، الزاوية السيوفية ٧١٠هـ/١٣١٠م (لا أثر لها اليوم)، زاوية عين الملك ٧١١هـ/١٣١١م (اندثرت)، الزاوية الرشيدية ٧٣٥هـ/١٣٣٤م (لا تزال قائمة في حي الميدان يسمونها المدرسة الرشيدية)، الزاوية الداودية ٨٠٠هـ/١٣٩٧م (بقي منها القبور)، زاوية المغاربة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م (بقي منها آثار شمالي جامع جراح بمقابر باب الصغير)، زاوية الحصني ٨٢٩هـ/١٤٢٥م (معروفة في حي الشاغور ومعظمها صار دوراً للسكن بتولية آل الحصني)^(٢).

الزوايا في القرن (العاشر - الحادي عشر - الثاني عشر - الثالث عشر - الرابع عشر):

١- الزاوية السعدية الجبائية (٩١٤هـ/١٥٠٨م):

تقع في حي الميدان الفوقاني شمالي الزاوية الرشيدية، وكانت بالأصل تربة للأمير إينال الجكمي نائب الشام الذي قتل سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م ودفن فيها ولم يكن قد تم إنجازها بعد، ثم جاء الشيخ حسن السعدي الجبائي فسقفها وسكن

(١) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٥.

(٢) العلي، مرجع سابق، من ص ٤١٣-٤٢٩. كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٦-١٤٠. ابن طولون، محمد، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،

دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، جزءان، ج ١، ص ٢٨٤-٣٠٨.

فيها والشيخ حسن^(١) هو شافعي صوفي معروف يكنى بابن الشيخ سعد الدين الجبائي توفي سنة ٩١٤هـ، ولهذه الزاوية شهرة كبيرة في دمشق وما تزال قائمة حتى اليوم، ولآل السعدي زاوية أخرى في حي القيمرية تقام فيها الأذكار والمولد في المناسبات الدينية كافة، وخاصة في ليلة القدر والمولد النبوي وليلة النصف من شعبان^(٢).

٢- الزاوية الصمادية (٩٣٢هـ/١٥٢٥م):

تقع داخل باب الصغير على كتف نهر قليط بالزقاق الممتد إلى باب الجابية، أنشأها الشيخ محمد الصمادي سنة ٩٣٢هـ^(٣)، ولقد كانت الطريقة الصمادية معروفة في دمشق منذ القرن التاسع الهجري غير أن أول من بنى زاوية لهذه الطريقة هو الشيخ محمد بن خليل الصمادي وقد كانوا يقيمون حلقات الذكر قبل بناء الزاوية في الجامع الأموي.

جددت الزاوية في عهد السلطان إبراهيم خان الأول (١٠٥٠-١٠٥٨هـ/١٦٤٠-١٦٤٨م) بفضل الشيخ إبراهيم الصمادي سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م كما هو مدون فيها، وهي اليوم مصلى كبير في إيوانه الشمالي أربعة قبور، ولا يمارس فيها حالياً شيء من عادات الصمادية، وقد أصبحت مركزاً لجمعية الشاغور الخيرية^(٤)، وفي قاسيون زاوية صمادية غربي زاوية عين الملك أنشأها أحد تلامذة الشيخ محمد

(١) هو حسن بن محمد بن سعد الدين الكبير بن يونس الشيباني الشافعي الصوفي المعروف بابن الشيخ سعد الدين الجبائي، ويقال إنه كان من قطاع الطرق فحصل له الفتح والكشف فتاب إلى الله تعالى ثم كشف الله له عن كبير الخصال فأخذ العهد عليه بذلك فصار لآل السعدي خاصية البرء من الجنون بإذن الله تعالى كما يقول الغزي والله أعلم). العلي، مرجع سابق، ص ٤١٩.

(٢) العلي، مرجع سابق، من ص ٤١٣-٤٢٩، كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٦-١٤٠. ابن طولون، الفلاذ الجوهري في تاريخ الصالحية، من ص ٢٨٤-٣٠٨.

(٣) محمد الصمادي: هو محمد بن خليل بن علي الشافعي الفادري شيخ الطائفة الصمادية في الشام - كان من أولياء الله تعالى وكان أتباعه يتعممون بالصوف الأخضر لثبوت نسبهم وكان للسلطان سليم الأول اعتقاد كبير بهم توفي في سنة ٩٤٨هـ خلف ثمانية عشر ولداً. العلي، مرجع سابق، مرجع سابق، ص ٤٢١.

(٤) العلي، مرجع سابق، ص ٤١٩. العسكري، مرجع سابق، ص ٦٣.

الصمادي (شيخ الطريقة الصمادية) سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وكان يقيم فيها الذكر يوم الجمعة^(١).

٣- الزاوية العمرية (٩٢١هـ/١٥١٥م):

تقع في العقبية غربي جامع التوبة، أنشأها الشيخ عمر الإسكاف الحموي سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م وازدادت شهرتها بعد عام واحد، عندما دخل السلطان سليم دمشق^(٢)، وكان من أخلص أتباع هذا الشيخ عيسى باشا تلميذه ووالي دمشق الذي اختبره بالمال والمناصب فأثبت فيهما زهده فجعله من أتباعه، وأهم ما يميز مريدي هذا الشيخ وأتباعه أنهم يلبسون الفروة مقلوبة ويعلقون في رقبتهم (معلق) رأس غنم ويدورون به ويقولون لا إله إلا الله بأعلى صوتهم، وهم لا يسلمون على أحد من غير طريقتهم، ولا يدفنون موتاهم إلا في الزاوية الشمالية الغربية من مقبرة الفرادييس. توفي الشيخ عمر سنة ٩٥١هـ/١٥٤٤م ودفن في الزاوية، ولكن طريقته تلاشت بعد فترة بسيطة من وفاته ونسيها الناس سريعاً، ولا تزال الزاوية العمرية إلى اليوم غربي جامع التوبة وقد جددت حديثاً^(٣).

٤- زوايا الطريقة الشاذلية:

تقع شمالي جامع جراح بالشاغور البراني وتعرف أيضاً بزاوية المغاربة، أنشأها الرئيس علي الشهير بابن وطية الموقت سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م^(٤)، حيث حبس عليها حوانيت وطباقاً حولها. وكانت ملتقى لأبناء المغرب على اختلاف أقطارهم (فاسيون - جزائريون - سنوسيون - مراكشيون) وكان من شروط وقف هذه الزاوية أن لا يكون النازل فيها مبتدعاً أو سكيراً أو من أهل البلد وأن يكون أفاقياً مغربياً - وكانت الطريقة الشاذلية تقيم الذكر والأوراد في المشهد الشرقي من الجامع الأموي وهو خاص ببني السفرجلاني وأقام الشيخ محمد تقي الدين بن عبد الله بن

(١) العسكري، مرجع سابق ص ٦٤.

(٢) العلي، مرجع سابق، مرجع سابق، ص ٤٢٣.

(٣) العلي، مرجع سابق، ص ٤٢٤.

(٤) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٧. نعيمة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٥-١٦٦.

علي الحنبلي الشاذلي المعروف بأبي شعر زاوية الشاذلية ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، وكان للشاذلية زاوية أخرى بجامع الصابونية قرب الباب الصغير وكان لهذه الطريقة شيخ مشايخ في دمشق^(١).

ومن زوايا الشاذلية : الزاوية الحصنية في حي الشاغور البراني أوقفها الشيخ تقي اندين بن بكر بن محمد بن عبد المؤمن الشهير بالحصني الشافعي المنسوب إلى قرية الحصن في حوران، وقد قام باختلاسها بنو العجي فانتزعت منهم وأعيدت إلى وضع أحسن مما كانت عليه، وأيضاً الزاوية الغزالية في الجامع الأموي شمالي مشهد عثمان^(٢).

زاوية أبي الشامات ١٣٠١هـ/١٨٨٣م: وهي أيضاً من زوايا الطريقة الشاذلية (الشرطية) الحديثة وهي زاوية حديثة بنيت سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني تكريماً لشيخه محمود أبي الشامات في منطقة القنوات، إلى الغرب من جامع السنانية، وهي مسجد جميل له قبة عالية ضخمة على بابه طغراء (ختم) السلطان عبد الحميد وفي الحائطين الجنوبي والشرقي زخارف فسيفساء قديمة ربما كانت منقولة من مكان آخر، وفي المسجد ضريح الشيخ محمود أبو الشامات وفيه تقام أذكار الشاذلية البشرطية^(٣).

٥- زوايا الطريقة الخلوتية:

كان للطريقة الخلوتية أكثر من زاوية في دمشق فمنها زاوية بالقرب من جيرون قرب الجامع الأموي وكانت مشيختها في آل الدسوقي يقيمون الذكر فيها، وزاوية أخرى تقع في ناحية المارستان الأربع مفارق بناها الشيخ يوسف المالكي الخلوتي وكان يقيم الذكر فيها يوم السبت من كل أسبوع في جامع الشيخ محيي الدين بن عربي بالصالحية، ثم الشيخ يوسف الطباخ المتوفى سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م الذي كان يقيم الذكر في المدرسة السميصياطية، وفي جامع التوبة، وهناك زاوية لآل التغلبي الحنابلة

(١) نغسة، مرجع سابق، ج١، ص ١٦٦. العلي، مرجع سابق، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) نغسة، مرجع سابق، ج١، ص ١٦٦. كرد علي، مرجع سابق، ج٦، ص ١٣٧.

(٣) العلي، مرجع سابق، مرجع سابق، ص ٤١٣. العسكري، مرجع سابق، ص ٦٥.

وهي الزاوية التقوية حيث كانوا يقيمون الأذكار فيها وتقع داخل دارهم في حي العمارة وكان خادماً عليها سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م الشيخ علي بن محمد الفتلة. وكان أتباع الطريقة القادرية يقيمون حلقات الذكر في المدرسة الإسماعيلية المعروفة بالخياطين وكانت زاوية الطريقة الأحمدية في المدرسة النورية وكانت لآل النحلاوي كما كانوا يقيمون الأذكار في المدرسة الخاتونية.

٦- أما الطريقة المولوية:

فكانت زاويتهم تقع غربي جامع دنكز وكان شيخاً عليها سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م محمد صالح أفندي، وهناك أيضاً الزاوية الداودية وكان شيخها من آل الداودي وتقع في صالحية دمشق^(١) (أنشأها الشيخ أبو بكر بن داود الصوفي الصالحاني الحنبلي في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م)^(٢)، ثم هناك زاوية آل الصديقي وقام بوظيفة البوابة والقيام عليها في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م مصطفى بن بايزيد الصفوري وأطلق عليها جمال الدين القاسمي اسم الزاوية الصفورية وتقع في محلة قبر عاتكة بالقرب من مقبرة الدقاقين من الغرب، ثم هناك الزاوية الطالبية الرفاعية في قصر حجاج، وهناك زاوية في سوق ساروجة غير معروف لأي طريقة ثم الزاوية النجارية النقشبية ومشيختها في بني المرادي وتقع في سوق ساروجة أنشأها الشيخ مراد البخاري النقشبندي وهو باني المدرسة المرادية، وللطريقة النقشبندية زاوية أخرى وهي الزاوية الهندية التي كانت خارج باب الجابية ودفن فيها علم الله الهندي النقشبندي، وهناك الزاوية الكردية في محلة العمارة بالقرب من باب الفراديس أقامها حسن الكردي ومات ودفن فيها سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م.

٧- وكان للطريقة الرفاعية:

زاوية في سفح قاسيون تقام فيها الأذكار وزاوية أخرى في ميدان الحصى، وقد وجد للطريقة البكتاشية زوايا في دمشق، وقد جاءت هذه الطريقة إلى دمشق مع

(١) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) ابن طولون، الفلاذ الجوهري في تاريخ الصالحية، القسم الأول، ص ٢٩٨-٢٩٩.

قدوم الإنكشارية إليها وألغيت بالقضاء على الإنكشارية وإلغاء أوجاقها في دمشق - في عهد السلطان محمود الثاني^(١).

أما بالنسبة للربط فعلى الرغم من كثرتها في الفترة السابقة للقرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي فلم يعد لها وجود في القرون اللاحقة، وكانت وقفاً على النساء المتصوفات والمنقطعات للعبادة أو المهجورات والمطلقات أو العجائز والأرامل، وكان لهن جريات ومقامات مشهورة في مجلس الوعظ، وقد حظيت فيما سبق بأهمية اجتماعية ولكن الدولة العثمانية لم تعرها أي اهتمام في القرون الأخيرة من حكمها للبلاد، وربما يعود ذلك حسبما يذكر الدكتور يوسف نعيمة في كتابه مجتمع مدينة دمشق إلى انتشار الفوضى في البلاد وعدم وجود الأمن وبالتالي أصبح الأهالي يخافون على نسايتهم من تعرضهن للاعتداء من قبل الجند الغرباء والقوى المتناحرة في دمشق، وبالتالي كان من الأفضل إبقاء النساء في البيوت وعدم ارتيادهن لهذه الربط فاضمحلت وتلاشت وزال نشاطها من دمشق^(٢).

وسنذكر فيما يلي أهم الربط التي كانت موجودة في مدينة دمشق فيما قبل تلك الفترة حسبما أوردها صاحب كتاب خطط الشام وهي كما يلي:

(رباط البياني - رباط التكريتي - رباط الشيخ محيي الدين - رباط صفية نقعلية - رباط زهرة - رباط طومان - رباط جاروخ التركماني - رباط غرس الدين خليل - رباط المهراني - رباط البخاري - رباط الباقلاطوني - رباط الفلكي - رباط بنت السار - رباط غدار خاتون - رباط بدر الدين عمر - رباط الحبشية - رباط أسد إندمين شيركوه - رباط القصاعين - رباط بنت الدفين - رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل - رباط الداوداري - رباط الفقاعي - رباط الوزار - رباط نجم الدين أيوب)^(٣).

(١) نعيمة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) نعيمة، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٣٥-١٣٦.

وهناك الكثير من الزوايا والربط التي أغفلنا ذكرها وذلك خشية الإطالة، فدمشق من أكثر المدن الإسلامية غنى بالمعالم والرموز الدينية وما زالت حتى أيامنا هذه، ولذلك كانت دائماً محط أنظار المتعبدین.

ولقد أدت هذه الزوايا والتكايا دوراً اجتماعياً كبيراً في مدينة دمشق فكانت في كثير من الأحيان مأوى للفقراء والمحتاجين ومكاناً لإيواء المتشردين والناشرين على السلطات، وفي كثير من الأحيان كانت تتعرض للإغلاق بسبب هذا النهج الذي اتبعه بعضها، ولكن الزوايا في حقيقتها كانت عبارة عن مكان يجتمع فيه المريدون للذكر ويقومون بالتصدق عليها والتبرع لها بسخاء والحفاظ عليها حتى بالروح، وما أدل على ذلك إلا صمود الكثير منها حتى أيامنا هذه ببهاؤها وحلتها وزينتها الفاخرة وزينة قبور الأولياء الذين دفنوا فيها والتي أصبح البعض منها في أيامنا محجاً للمريدين ومزاراً لكثير من طالبي القرب والعطاء من أصحاب قبورها وأوليائها.

ثالثاً - مقامات الأولياء والصالحين في مدينة دمشق

ومواقعها:

يعد ثرى مدينة دمشق من أغنى الأماكن بالمقامات والمزارات وقبور الأنبياء والأشراف والأولياء، فهذه الأرض كانت وما تزال من أظهر وأشرف الأماكن التي يمكن أن يشد إليها الرحال، وكانت هذه البقعة عبر التاريخ مقراً ومسكناً لكثير من الأنبياء والصالحين باعتبارها أرض الرسالات وأرض التوحيد منذ القدم. فقد حوى هذا الثرى أجساد كثير من الأنبياء كما أكدت ذلك كثير من الروايات التاريخية، وسنورد فيما يلي أهم هذه القبور والمقامات كل حسب شرفه ورتبته مع ذكر الأدلة والشواهد قدر المستطاع حول تأكيد وجودها في دمشق:

أ - قبور الأنبياء:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): "إن جميع قبور الأنبياء غير صحيحة غير قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم". هذا رأي ولكن هناك الكثير من الأدلة والشواهد والروايات التي تدل على مصداقية وجود قبور الأنبياء في أماكن كثيرة من بلاد الشام خاصة، فمثلاً قبر النبي إبراهيم الخليل تؤكد كثير من الروايات أنه في مغارة داخل السور ببلدة قريبة من القدس وهذه البلدة سميت باسمه وهي مدينة الخليل الحالية في فلسطين، وثبت أيضاً دفن ولديه إسحاق وإسماعيل معه في المكان نفسه^(٢).

أما بالنسبة لقبور غيرهم من الأنبياء فلم يثبت وجود روايات تؤكد دفنهم في أماكن محددة من بقاع الأرض، ولكن بالنسبة لقبور الأنبياء في دمشق فسنذكر الروايات التي أوردت وجود قبور بعض الأنبياء فيها كما أوردتها كتب التاريخ والسير.

عن عثمان بن أبي العاتكة^(٣) قال: "قبله مسجد دمشق قبر هود النبي عليه السلام".

و"عن عبد الله بن سلام قال: بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبع مائة قبر، وقبر موسى عليه السلام بدمشق، فإن دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم"، و"عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أراد أن يرى الموضع الذي قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْثِنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذات قرار ومعين﴾ فليأت النيرب الأعلى بدمشق بين النهرين، وليصعد إلى الغار بجبل قاسيون فليصل فيه فإنه بيت عيسى وأمه، وهو كان معقلهم من اليهود، ومن أراد أن ينظر إلى إرم فليأت نهراً في حصن دمشق يقال

(١) ابن تيمية: (تقي الدين أحمد): (٦٦١-٧٢٨هـ-١٢٦٣-١٣٢٨م) فقيه حنبلي إمام من الأعلام - جلد المذهب -

ولد في حران (سورية) وأقام في دمشق، ودرس فيها، له مجموعة الفتاوى وكثيرها. المتجدد في الأعلام، ص ٩.

(٢) الحصني، منتخبات نوارخ دمشق، ج ١، ص ٣٧٤.

(٣) عثمان بن أبي العاتكة: هو عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي الدمشقي، صحابي توفي سنة ٥٢ هجرية.

الصبادي، محمد عز الدين بن حسين عربي كاتبي (١٢٧٠-١٣١٥هـ)، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية،

دمشق، الفارابي للمعارف، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٧٧.

له بردى، ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون فليأت مقبرة الفراديس^(١).

وأورد صاحب كتاب منتخبات تواريخ دمشق الكثير من الأدلة والروايات حول وجود قبر النبي موسى عليه السلام في دمشق ومنها رواية "نقل عبد الله الربيعي^(٢) في مصنفه ما نصه: والمشهور في دمشق أن قبر موسى عليه السلام بالكثيب الأحمر بقرب قرية قريبة من دمشق يقال لها مسجد القدم وقد عثرت للمحافظ ابن طولون الدمشقي على مؤلف لطيف سماه تحفة الحبيب بإخبار الكثيب جمع فيه أقوال العلماء واعتمد فيه أن موسى الكليم بهذا الكثيب وأنه قد بنى عليه الشيخ محمد بن قيصر بناء يحيط به"^(٣).

وذكر أيضاً أن قبر النبي أيوب في الجولان في نواحي دمشق وهو معروف ومشهور وفيه أيضاً العين التي برئ بها أيوب من مرضه ويقال إن قبر هابيل عليه السلام موجود في قرية من قرى ناحية سوق وادي بردى. وذكر العلامة ابن الوردي: أنه يقولون إنه في مغارة تقرب من مغارة الدم في جبل قاسيون المشرف على دمشق قتل هناك قابيل أخاه هابيل ويقال إنه اغتاله في بركة قاع وأن ذلك ببلاد الشام يعني دمشق وهي المعروفة اليوم بأراضي البقاع^(٤).

وقيل إن قبر نبي الله ذي الكفل عليه السلام يقع بسفح جبل قاسيون، وقد ظهر ذلك القبر وتجدد على يد السيد محمد المرادي الدمشقي وبنى عليه بناء محيطة به، وفي الجامع الأموي يوجد مرقد رأس النبي يحيى بن زكريا عليه السلام على أشهر

(١) أبو الحسن علي بن محمد الربيعي المالكي: فضائل الشام ودمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ص ٥٠-٥١.

(٢) الربيعي: هو علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربيعي، أبو الحسن، ويعرف بأبي الهول، فاضل مالكي، من أهل دمشق روى الحديث واهتم في بعض سماعه توفي في دمشق سنة (٨٤٤هـ-١٠٥٢م) الصيادي، الروضة البهية في فضائل دمشق الحميمة، ص ١٤٣.

(٣) الحصني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٦. الصيادي، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٤) الحصني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٩.

الأقوال هذا بالنسبة للرأس أما جسده الشريف فالمشهور والمتواتر عند حملة الأخبار أنه مدفون في جامع الدلم في ناحية من نواحي دمشق يقال لها الزبداني^(١).

وذكر صاحب كتاب الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية الراوية التالية: وداخل الجامع (الجامع الأموي) ضريح رأس النبي يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام كما روى زيد بن واقد^(٢)، وكان موكلاً على العمال في بناء الجامع قال: بينما نحن والبنائون بينون إذ وجدنا مغارة في الجهة الشرقية من حرم الجامع فأخبرنا الوليد، فلما كان الليل جاء الوليد وبيده الشمع فنزل فإذا موضع ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع وفيه صندوق ففتحه فإذا فيه طشت وفي الطشت (رأس) ومكتوب على الطشت هذا رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام فرده إلى مكانه وقال: اجعلوا للعمود الذي فوقه علامة تفرقه عن الأعمدة فجعل عليه عمود مسقط الرأس، وفي رواية: وكانت البشرة والشعر على الرأس لم يتغيرا، وقال أبو مسهر^(٣): رأس يحيى عليه السلام تحت العمود المسقط شرقي دمشق، وقد بني عليه ضريح من الرخام الأبيض وعليه قبة خضراء مطرزة بالذهب والآن هو مركز للزيارة والدعاء^(٤).

وقيل إن قبر نبي الله ليسع عليه السلام في أعمال بلاد حوران بالقرب من دمشق، وقبر النبي يوشع بن نون عليه السلام في الشام في قرية يقال لها المنية في بطن جبل تربل من قرى طرابلس الشام داخل غار وقبره الشريف ظاهر^(٥).

(١) الحصني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٣.

(٢) هو زيد بن واقد بن عبد الله البربوعي التميمي: تابعي من موالى بني أمية بدمشق، مولده بمكة ووفاته بدمشق سنة: ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م تقريباً. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وصحبه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ج ٦، ص ٢٩٦.

(٣) هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي من حفاظ الحديث كان شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأبام الناس وأنساب الشاميين مولده ١٤٠ هـ - ٧٥٧ م، ووفاته ببغداد سنة ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م). الزركلي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٤) الصبائي، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٥) الحصني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٦.

ب - قبور الصحابة:

ذكر صاحب كتاب منتخبات تواريخ دمشق على حسب ما أورد من رواية الهروري في كتابه الإشارات "إن جبانة باب الصغير في دمشق يقال بها سبعون رجلاً من الصحابة معلومة قبورهم وأسمائهم، وأنه نقل بأن بعض تلك الجبانة حُرثت وزرعت بقدر مائة سنة ثم رجع الدفن إليها فلذلك لا تعرف القبور"^(١)، ومنهم أبو الدرداء الصحابي وأوس بن أوس الثقفي الذي نزل دمشق ومات بها في خلافة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقبره معروف بباب الصغير، وبلال الحبشي بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حضر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح القدس واختلف في مكان دفنه فمنهم من قال إنه دفن بحلب وقيل بداريا وقيل بدمشق في مقبرة باب الصغير، وسهل بن ربيع الأنصاري الصحابي الذي توفي في خلافة معاوية ودفن في مقبرة باب الصغير، وشمعون الصحابي وفضالة بن عبيد الصحابي الذي ولي قضاء دمشق في فترة معاوية ودفن بباب الصغير، وآثلة بن الأسقع الذي توفي في خلافة عبد الملك بن مروان وأيضاً دفن بباب الصغير.

ودفن في مقبرة باب الصغير أيضاً من الصحابة قبور ثلاث من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) وهن السيدة حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسيدة رملة بنت أبي سفيان، والسيدة هند بنت سهيل أبي أمية أم سلمة القرشية المخزومية.

وفيهما قبر فضة جارية السيدة فاطمة الزهراء^(٣)، وأم الدرداء، وفضالة بن عبيد، وسهيل بن الحنظلية، وقبر ضرار بن الأزور الأسدي، وخولة بنت الأزور، وقبر أبي الدحداح، أما في قرى دمشق: ففي المزة قبر رضية الكلبي الصحابي المشهور، وفي داريا قبر تميم الداري بن أوس بن خارجة، وحرملة بن يزيد الصحابي الأنصاري، وفي

(١) الحصني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) قسطلبي، الروضة الغناء في دمشق الفحاء، ص ١٣١.

(٣) الصبادي، مرجع سابق، ص ٢١٥.

جوبر قبر سعد بن عبادة الخزرجي الصحابي مات بالشام سنة ١٤هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقبر السيدة زينب بنت أم كلثوم ابنة الإمام علي ماتت في الشام ودفنت في قرية راوية (هي قبر الست حالياً)، وذكر أيضاً أن قبر السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب بمقبرة باب الصغير يزار ويتبرك به، وقبر سكينه بنت الحسين بترية القلندرية داخل القبة، وقبر السيدة فاطمة بنت الإمام علي أيضاً بمقبرة باب الصغير وعليه بناء معروف يقصد للزيارة ولكن المعروف عند أهل دمشق أن قبر السيدة زينب في تربة نسبت إليها ويقال لها الآن قبر الست كما ذكرنا سابقاً في ضواحي دمشق^(١). وهناك الكثير من أسماء الصحابة الذين ورد ذكرهم في كثير من المؤلفات على أنهم دفنوا في مدينة دمشق ولكن اكتفينا بذكر الأهم منها والله المستعان.

ج - قبور الأولياء والصالحين:

من أشهرهم: أبو البيان بن محفوظ القرشي من أبناء الطائفة البيانية المنسوبة إليه بدمشق توفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ودفن بباب الصغير، ابن عساكر بن حسين بن هبة الله مؤلف كتاب تاريخ الشام المشهور (٨٠ مجلداً) توفي سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ودفن بباب الصغير، ابن قيم الجوزية الحنبلي فقيه ومفسر مات سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م ودفن بباب الصغير تجاه المدرسة الصابونية وبني على قبره قبة، ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين صاحب كتاب طبقات الحنابلة ومات بدمشق ودفن بباب الصغير، وإبراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق، أحمد أبو العباس المغربي شيخ المالكية، وإسماعيل بن علي المفتي المعروف بابن الحائك توفي سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م ودفن بباب الصغير أيضاً، بدر الدين بن جمال الدين بن مالك توفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ودفن بباب الصغير، والحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور توفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م وقبره في باب الصغير، والشيخ عمر بن حسن الخرقي، عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع المفتي، عبد الله بن عمر العجلوني الحنفي النحوي، محمد علاء الدين بن علي الحصيني توفي سنة

(١) قساطلي، مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٢.

١٠٨٨هـ/١٦٧٧م ودفن بباب الصغير، كعب الأحبار وهو من المحدثين دفن بباب الصغير، محمد اليتيم صوفي شافعي توفى سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م دفن بباب الصغير أيضاً، محمد بن محمد بن سلطان الحنفي توفى سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ودفن بباب الصغير، تقي الدين بن الصلاح (الشهرزوري) توفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م دفن بمقابر الصوفية، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي إمام الصوفية ولد بهرسية وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ودفن بسفح جبل قاسيون وقد بني على قبره مقام ومزار من قبل السلطان سليم كما أسلفنا الذكر سابقاً، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي النحوي الفقيه المحدث مات سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ودفن بباب الفراديس، الحسن بن محمد البوريني الشافعي توفى سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م ودفن بمقبرة باب الفراديس. مسعود بن محمد النيسابوري توفى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق، عماد الدين بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي كان عالماً بالأصول والحديث توفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٤م ودفن بمقبرة الصوفية.

أيضاً العلامة تاج الدين السبكي صاحب الطبقات جمع الجوامع والتصانيف المفيدة توفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م ودفن بقاسيون بترية السباكيين المشهورة بهم، الشيخ أبو عمر الدمشقي الصالحي الزاهد باني مدرسة الصالحية توفى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ودفن بسفح قاسيون، قاضي القضاة ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور المسمى بوفيات الأعيان توفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م ودفن بسفح قاسيون^(١).

ومن قبور المشاهير أيضاً قبر السلطان الصالح محمود بن زنكي الملك العادل، وقبر الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي بالكلاسة، وقبر الملك الظاهر بيبرس وقبر ولده الملك العادل، وقبر الإمام ابن تيمية في مقابر الصوفية بدمشق^(٢).

وأغلب هذه القبور والصالحين وخاصة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحاب الكرام تقصد للزيارة وللتبرك بها حتى أيامنا هذه، ومنها ما أصبح مزاراً

(١) قسطلبي، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٩.

(٢) الصيادي، مرجع سابق، ص ٢٢١-٢٢٤.

رسمياً كما هو الحال في قبر السيدة زينب والسيدة رقية بالقرب من الجامع الأموي بدمشق.

رابعاً - المسيحيون في مدينة دمشق:

وهم يعدون من أهل الذمة في الشرع الإسلامي، وأهل الذمة هم العناصر غير المسلمة في البلاد الإسلامية (أي المسيحيون واليهود) ويسمون أيضاً الكتابيون وقد سموا كذلك لأنهم أهل كتاب مُنزل. ولم ينخرط أهل الذمة في الجيوش والفتوحات التي تهدف إلى نشر الإسلام ففرضت عليهم الجزية وهي بمثابة البديل الذي يدفع اليوم لقاء الإعفاء من الخدمة العسكرية^(١). وبدخول الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوروبا فقد دخل في محيطها عدد ضخم من المسيحيين يفوق عدد المسلمين فيها، وقد عاملهم العثمانيون معاملة المسلمين العرب للمسيحيين عندما قاموا بفتح سوريا^(٢).

وبالنسبة لأشهر الطوائف المسيحية في مدينة دمشق فهي:

١- طائفة الروم الأرثوذكس:

وهم أتباع الكنيسة الشرقية التي تستخدم اللاهوت والطقوس البيزنطية^(٣)، وقد نظم محمد الفاتح بعد سقوط القسطنطينية أمر هذه الطائفة وأخضع كنيساتها إلى البطريرك وسمي أتباعها "روم ملتي" أي الملة أو الطائفة، ومنح بطريركها رتبة الباشوية الشريفة بثلاث أطواق^(٤)، وجعل له محكمة خاصة وسجن خاص به في حي الفنار في استانبول. واتبع القسم الأعظم من مسيحيي ولاية سورية الكنيسة الأرثوذكسية فكان لهم بطريركيتان في بلاد الشام، الأولى في القدس وتشرف على كنائس الروم الأرثوذكس في فلسطين والثانية في دمشق وتشرف على مصالح

(١) الصباغ، ليلى، المجتمع العربي في مطلع العهد العثماني، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٣: ص ٧٣٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٣٠.

(٣) سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٤) طوغ: ذيل الفرس، وهو مصطلح عثماني.

الكنائس الشرقية من صور حتى الأناضول ويلحق بها أبرشيات (أسقفيات) الشام وحلب^(١).

ولقد لاقى أتباع هذه الطائفة احتراماً من قبل ولاية دمشق والهيئة الحاكمة فيها طالما أن الدولة العثمانية ليست في حالة حرب أو صدام مع روسية الأرثوذكسية، وأشهر ما وقع لهم من مضايقات في عهد الدولة العثمانية هو فترة الثورة اليونانية ضد الدولة العثمانية، حيث صب السلطان العثماني محمود الثاني جام غضبه على أتباع هذه الطائفة فأوعز إلى والي دمشق بقتل بطريركها، وتصفية رجال دينها والتضييق على أتباعها، وعلى العكس في فترة الحكم المصري لبلاد الشام وكانت في أثنائها روسيا إلى جانب الدولة العثمانية فلقد لاقى الأرثوذكس قبولاً من الدولة العثمانية حتى بعد خروج المصريين من بلاد الشام بعد الضغط عليهم من قبل روسيا وإنكلترا حيث لاقى بطريرك الأرثوذكس أمتوديوس إكراماً كبيراً من والي دمشق العثماني^(٢).

وللروم الأرثوذكس في دمشق سبعة عشر كنيسة أقدمها الكنيسة المريمية التي أعطاها عمر بن عبد العزيز للروم تعويضاً لهم عن كنيسة ماريوحنا التي أصبحت الجامع الأموي. وبنى الروم بعد حوادث ١٨٦٠م كنيسة جديدة في حي الميدان، ورمموا كنائسهم التي احترقت في أثناء الفتنة، ورمموا وأصلحوا كنائس أخرى في عكا^(٣).

ولهم أيضاً كنيسة "ماريوحنا" الدمشقي وقد بنيت بعد حوادث ١٨٦٠م بمساعدة روسيا، وأخرى في حي الميدان^(٤). ولقد بلغ عدد الروم الأرثوذكس في دمشق في سنة ١٨٧٣م حوالي ٧٠٠ نسمة^(٥). وقد منيت هذه الطائفة بانشقاق في صفوفها حيث انفصل

(١) محمد عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٢) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) غراية، عبد الكريم، سوريا في القرن التاسع عشر (١٨٤٠-١٨٧٦)، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢م، ص ١١٧.

(٤) قساطلي، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٥) محمد عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

قسم منها وشكل طائفة جديدة عرفت باسم الروم الكاثوليك^(١)، وكان للطائفة دور كبير في نشر العلم في دمشق وحمص وبيروت حيث تألفت جمعية المدارس الأرثوذكسية في حمص والجمعية السورية الأرثوذكسية في بيروت وشكل الأرثوذكس أقاليم كبيرة في مدن دمشق وحمص وحماء وحلب واللاذقية وطرابلس وعكا والناصرية وبيت لحم وكانوا في جميع هذه المدن يشكلون أكبر الطوائف المسيحية^(٢).

٢- الروم الكاثوليك:

انشق هؤلاء عن الروم الأرثوذكس ولقد اضطهدهم الأرثوذكس في أول الأمر وذلك بمساعدة السلطات العثمانية^(٣)، وقد كانت بداية دخول الكتكئة إلى الشام مع بدايات القرن الثامن عشر^(٤).

ولقد استطاع المنشقون أن يشكلوا طائفة جديدة وانتخبوا عام ١٧٢٤ بطريركاً خاصاً بهم واعترفوا برئاسة البابا، وبرز في القرن التاسع عشر البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٢٣-١٨٥٥) الذي اعترف به كل من محمد علي والسلطان العثماني وأنشأ ثلاثاً وأربعين كنيسة في ولاية دمشق وغيرها^(٥). وأشهر الكنائس التي بنيت في باب مصلى والقرشي من الميدان والمدرسة البطريركية في حي الميدان^(٦)، ويبلغ عدد الروم الكاثوليك في دمشق (١٢٠.٠٠٠) تقريباً^(٧).

(١) محمد عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٢) غرايبة، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) غرايبة، مرجع سابق ص ١١٧.

(٤) ميخائيل بريك الدمشقي تاريخ الشام (١٧٢٠-١٧٨٢)، ص ١٦ - حيث أورد مايلي: وكذلك صارت عادة أخرى في أثناء هذه السنة (١٧٤٧) وهو أنه من نحو خمسة وثلاثين سنة من ظهور أفيمبوس مطران صيدا وظهور انناسيوس الدباس البطريرك الأنطاكي، ظهر أول دين الكاثوليكية وأبتدأ ينمو ويزيد شيئاً فشيئاً.

(٥) غرايبة، عبد الكريم، سوريا في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨.

(٦) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣٩.

(٧) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٢٩.

٣- السريان واليعاقبة والكاثوليك:

وهي من الكنائس أو الطوائف التي عدّها الأرثوذكس مهرطقة وقد دخلت ضمن إطار الدولة العثمانية. واليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادي أسقف أديسيا الذي نظمها في مطلع القرن السادس عشر في سورية وهي كالكنيسة القبطية في مصر^(١)، ولقد عانت الكنيسة السريانية اليعقوبية من انشقاقات أيضاً ومنها بطريركية أنطاكية للسريان التي اعترفت بها الدولة العثمانية عام ١٧٣٩م وكان مركزها حلب، وكان لهم في دمشق كنيسة ووليعاقبة مثل ذلك قرب الباب الشرقي فاحترقت كلها في حوادث ١٨٦٠م بينما لجأ مطران السريان الكاثوليك ورعيته إلى سيدنايا وذلك في أثناء الحريق^(٢).

ولقد استقلت هذه الكنيسة منذ القرن السادس الميلادي. واليعاقبة الأرثوذكس يستخدمون اللغة السريانية في اللاهوت والعبادات الكنسية ويصل عددهم في سوريا حوالي ١٥٠.٠٠٠ يتركزون في محافظات الجزيرة وحمص وحلب ودمشق^(٣).

٤- الأرمن:

واعترف بهم من قبل الدولة العثمانية عشية سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م وكان مطران الأرمن الأرثوذكس يستقر في أسكودار. وكان بطريركاً على جميع المسيحيين بما فيهم الأرمن حيث كان بعضهم يستقرون في حي خاص بهم في دمشق، وكان لهم خمسة رؤساء دينيون في أوائل القرن التاسع عشر، ويرأسهم في دمشق بطريرك. وكان الأرمن أكثر أبناء الطوائف المسيحية تمسكاً بدينهم في مدينة دمشق، فلقد كانوا يختارون رجال دينهم من أبناء طائفتهم فقط^(٤).

وكان الأرمن في دمشق يتألفون من طائفتين طائفة الأرمن الأرثوذكس وكانت كنيستهم هي "مارسركيس" في دمشق، وطائفة الأرمن الكاثوليك الذين أنشؤوا

(١) محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٢) غرايبة، عبد الكريم، سوريا في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) سعد الدين إبراهيم، الملل والنحل، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٤) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦٦-٣٣٧.

كنيسة لهم بعد أحداث ١٨٦٠م بالقرب من دير الرهبان العازرين^(١) وهي كنيسة القديس غريغوريوس^(٢) وقدر عددهم في دمشق بعد تلك الأحداث بحوالي (٨٠,٠٠٠)^(٣).

٥- الموارد:

هم جماعة من السريان السوريين ينتسبون إلى القديس "مارمارون القورسي"^(٤) وهم يعدون من أهم الطوائف المسيحية في بر الشام وذلك بسبب الدور السياسي الذي أدوه في تاريخ البلاد إضافة إلى الدور القيادي في تقرير مصير لبنان وتوجيه سياسته، وكانوا في أول أمرهم يتبعون الكنيسة الشرقية ويشبهون في ذلك الروم الأرثوذكس إلا أنهم اختلفوا معهم واعترفوا برئاسة البابا لكنيستهم وأدخلوا منذ عام ١٩٠٦م التقويم الغريغوري ولكنهم احتفظوا باستقلال كنيستهم بطقوسها الشرقية ولغتها السريانية^(٥).

وكان لهم في دمشق حي خاص بمحلة باب توما داخل أسوار دمشق، ولكن الكتلة الأساسية منهم تسكن في جبال لبنان كما أُلحنا سابقاً. ووجد عدد منهم في المدن الشامية كحلب واللاذقية وبعض قرى جبال اللاذقية^(٦)، وكان للموارنة شرع خاص يتقاضون بموجبه أقره لهم جميع الذين حكموا دمشق من نصارى وغيرهم ولا تزال أغلب قوانينه يُعمل بها فيما بينهم في المنطقة حتى أيامنا هذه^(٧).

وكانت لهم أسقفيتان: الأولى في دمشق والثانية في بعلبك، وقد بلغ عددهم في دمشق سنة ١٨٥٢م (٤٠٥) أشخاص ثم انخفض إلى (٢٠٠) في سنة ١٨٧٩م وكان ذلك

(١) محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٢) قسناطلي، مرجع سابق، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٣) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٢٩.

(٤) محمد عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٥) غرايبة، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٦) نعبسة، مرجع سابق ج ١، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٧) كرد علي، مرجع سابق، ص ٢٣١٠.

على ما يظن بسبب أحداث عام ١٨٦٠م في الشام^(١). وبدءاً من القرن السابع عشر فقد اهتم بهم ملوك فرنسا حيث أرسل كل من لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر منشوراً إليهم يبسطون فيه حمايتهم على الموارنة في بلاد الشام "فعد الموارنة أنفسهم من جملة الفرنسيين وهم إلى هذا اليوم يكرمون هذه الدولة ويحبونها حباً كبيراً ويتظاهرون بالانتماء إليها ولقنصل فرنسا نفوذ الكلام في بلادهم". ولم يكن لهم شأن أو دور يذكر في الحياة الاقتصادية حتى بداية القرن التاسع عشر، حيث أغدقت عليهم فرنسا والباباوية الهبات والعطايا حتى وصل الأمر إلى الحصول على حماية لهم من قبل الباباوية والدول الغربية، ولقد وصل بعضهم إلى منصب القنصل لكثير من الدول الأوروبية في المنطقة^(٢).

٦- البروتستانت:

وهي تمثل أكبر الانشقاقات الدينية الكبرى في تاريخ المسيحية وهو انشقاق ديني حدث في أوروبا في القرن السادس عشر، وارتبط بما يسمى حركة الإصلاح الديني التي تزعمها مارتن لوثر^(٣)، ولقد تسربت إلى الشرق العربي ابتداءً من القرن التاسع عشر على أيدي المبشرين الأمريكيين والبريطانيين^(٤)، وقد بدأ نشاط البعثات البروتستانتية على نطاق واسع منذ سنة ١٨٢٠م حيث أسس الأمريكيان أول مركز سوري في بيروت، فرأى فيهم المسلمون والسلطات العثمانية بوادر تسلل استعماري إفرنجي بالإضافة إلى صفتهم التبشيرية فقاوموهم، كذلك رأى فيهم الأرثوذكس والكاثوليك تهديداً خطيراً لوحدة كنائسهم، وعلى الرغم من ذلك فقد ثابر

(١) محمد عوض، مرجع سابق ص ٣٠٤.

(٢) نغيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٠.

(٣) مارتن لوثر: (١٤٨٣-١٥٤٦) زعيم الإصلاح البروتستانتي نال شهادة العلوم من جامعة إرفورت ١٥٠٥

ودرس القانون فيها دخل دير للربان الأوغسطيني حيث رسم قسيساً ١٥٠٧ ولدى زيارته لروما ١٥١٠

سأه الانحلال الروحي المنقشي في الأوساط الكنسية العليا وكان إعلان أفكاره سنة ١٥١٧ أصدر البابا قراراً

رسمياً حرم به لوثر من غفران الكنيسة ١٥٢١ استمرت أفكاره وانتشرت وأصبح له مذهب عرف باللوثرية.

غربال، الموسوعة العربية المسيرة، ج ٢، ص ١٥٧١.

(٤) سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق، ص ٦٩.

البروتستانت على عملهم ومدوا نشاطهم إلى دمشق وحلب وحمص وحماة وجبال العلويين وتمتعوا بحماية قناصل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ولم تعترف السلطات العثمانية رسمياً بالطائفة البروتستانتية إلا عام ١٨٥٠م، ولكن البروتستانت نشطوا للعمل وأسسوا أسقفية لهم في القدس وسائر البلاد العربية^(١)، وأنشؤوا أول إرسالية في دمشق سنة ١٨٤٣م وبعد عشر سنوات أنشؤوا فيها مدرسة ثم قاموا ببناء كنيستين في دمشق الأولى بنيت سنة ١٨٦٤م والثانية سنة ١٨٦٨م، ولكن رغم ذلك لم يتجاوز عدد أتباع هذه الطائفة (٧٠) في سنة ١٨٥٢م وبقي عددهم تقريباً كذلك حتى عام ١٨٧٩م، ولقد تمتع المبشرون منهم بامتيازات في الدولة العثمانية فيما بعد وذلك حسب الامتيازات التي منحت للرعايا الأمريكيين في الدولة^(٢)، وذكر صاحب كتاب الروضة الغناء في دمشق الفيحاء: "للطائفة البروتستانتية كنيسة في دمشق بنت الأولى منها مسسزموط الإنكليزية سنة ١٨٦٨م وبنيت الثانية سنة ١٨٦٤م بهمة القس يوحنا كروفورد الأميركاني والقس رويصن الإنكليزي وفي دائرتها مدرسة للذكور وفي حنانيا كنيسة صغيرة على اسم القديس حنانيا يقال إنها في المحل الذي كان به بيت حنانيا"^(٣).

خامساً - اليهود في مدينة دمشق:

نزل اليهود دمشق منذ أمد بعيد في كنيس في قرية جوبر التي تبعد بضع دقائق عن شرقي دمشق وجاء ذكر ذلك في التلمود منذ أكثر من ألفي سنة، وذلك بقوله بالحرف الواحد (كنشتاديبه جوبر) ومعناه كنيسة جوبر القائمة إلى يومنا هذا التي كانت مقراً للنبيين "إيليا (الخضر) وتلميذه (أليسع) الإشاع" وفي بعض دور الكتب العبرية في دمشق إلى اليوم آثار مخطوطة يرجع عهدها إلى القرن الحادي عشر

(١) غرايبة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) محمد عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٣) قساطلي، مرجع سابق، ص ١٠٣.

الميلادي. وفيدينا هذا أن اليهود لم ينقطعوا عن الشام لاسيما بعد فتح المسلمين لها إذ ثبتت أقدامهم فيها وتوفرت لهم أسباب الرخاء والهناء^(١).

ويفتح القسطنطينية طبق على اليهود نظام الملل كما جرى على غيرهم من أهل الذمة وفيه نص على اعتبار اليهود "ملة" وسمح لهم محمد الفاتح بالإقامة في استانبول وعين لهم "حاخام باشي" بسلطات تشبه سلطات بطريرك الأرثوذكس وقد تحسنت أوضاع اليهود في الدولة العثمانية بعد أن كانوا في ظل الدولة البيزنطية مجموعة منعزلة ومهملة ومحرومة من الوصول إلى المناصب العامة ومن الشهادة ضد المسيحيين، وتقربوا من السلاطين واكتسبوا ثقتهم لاسيما بعد زواج السلاطين العثمانيين كلهم بنساء يهوديات^(٢). ولم يتشدد العثمانيون بضرورة تمييزهم بلباس خاص ولذلك تدفقوا من جميع أنحاء العالم إلى الدولة العثمانية وخاصة من إسبانية، وتفسير هذا التقرب من اليهود هو عدم ثقة العثمانيين بالمسيحيين الذين تخوفوا من تعاونهم مع أعداء الدولة المسيحيين والسبب الآخر هو اختلاط النسب اليهودي بالعثماني كما أسلفنا. وهكذا ازداد عدد اليهود في الدولة العثمانية وتعاظمت قوتهم مع قدوم المجموعات التي هاجرت من أسبانيا وأوروبا بشكل عام إلى الدولة العثمانية فأضيفت إلى اليهود الموجودين قبل قدوم العثمانيين في كل من سوريا ومصر والعراق. وبالرجوع إلى سجلات الإحصاء التي أجريت في الإمبراطورية العثمانية والوثائق التاريخية يتبين لنا أن أعداد اليهود بدأت تزداد بشكل ملحوظ منذ عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) وابنه سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م)، حيث بلغت ١١٥.٤٢٠ فرداً موزعين على ثلاث مدن رئيسية هي سالونيك وإزمير واستانبول^(٣)، وقد سمح لليهود المجر ومولدافيا وإسبانيا بالهجرة إلى سوريا وكانت صدد القدس ودمشق هي مركز الاستقرار لليهود الوافدين، وكان يشرف عليهم

(١) كرد علي، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) عامر، محمود، الدولة العثمانية تنهم سلاطينها، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٣٠-٤٠.

(٣) عامر، محمود، تاريخ الماسونية وبهود الدولة، دراسة وثائقية في الأهداف والأصول، دمشق، دار الصفدي،

٢٠٠٢م، ص ٦١.

في سوريا ومصر "رَبِّي" يسمى "تاجد" أو "ريس" وسلطته تشبه سلطنة "الحاخام باشي" في استانبول^(١).

بلغ عددهم في فلسطين خلال القرون الثلاثة الأولى من حكم العثمانيين (عشرة آلاف نسمة) وحوالي "٣٠ ألفاً" في بر الشام كله. وتزايد هذا العدد بسرعة في أواخر القرن التاسع عشر حتى ناهز المائة ألف. وتعرض اليهود خلال عهد إبراهيم باشا لنقمة المسلمين والمسيحيين معاً وكانت متابعهم مع المسيحيين أخطر إذا اتهموهم بخطف المسيحيين لقتلهم وخلط دمهم بالفطير بدلاً من دم خاروف الفصح، وقد اتهم اليهود بقتل الأب توما الكبوتشي (١٨٤٠م) حيث نشبت أزمة في دمشق واعترف اليهود بقتلهم للأب توما وكان ذلك على يد الحاخام موسى أبو العافية. وتضامن اليهود في دمشق وأنحاء العالم لإثبات براءة المتهمين اليهود ودفعوا مبلغاً من المال إلى محمد علي باشا كتعويض للإفراج عن المتهمين وقد تم إطلاق سراحهم وحفظت القضية وكان الأمر بدعم من قنصلي بريطانيا وروسيا^(٢).

ولما عاد الحكم العثماني لبلاد الشام تضامن اليهود مطالبين بإخراج القناصل الإفرنج من دمشق وحلب وسلب المسيحيين المزايا التي كسبوها في العهد المصري، وهاجمت العصابات اليهودية المسيحيين في دمشق يوم دخول الوالي العثماني الأول علي باشا دمشق (١٨٤١م) وكادت أن تنشب في المنطقة فتنة إثر انتشار شائعة بين المسلمين والمسيحيين مفادها بأن اليهود يستخدمون دم مسلم أو مسيحي في فطيرهم^(٣).

سكنهم وأحيائهم وأهم الكنس اليهودية:

سكن أهل الذمة بشكل عام (من مسيحيين ويهود) في دمشق في أحياء خاصة بهم ضمن أسوارها، وكان الحي اليهودي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منها^(٤).

(١) محمد عوض، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٢) غرايبة، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) غرايبة، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٤) عبده، سمير، اليهود السوريون، دمشق، دار حسن ملص، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٠.

وكان هذا الحي من أكبر أحياء اليهود في دمشق، وأما بالنسبة لأهم الكُنس اليهودية في دمشق كنيس في جوبر وكانوا يقيمون فيه صلواتهم، وكنيس آخر في حيهم الزيتونة الذي بقي مهجوراً فترة طويلة فقام أحدهم ببيعه للمسيحيين الكاثوليك في دمشق سنة (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م) فحولها الكاثوليك إلى كنيسة ما تزال قائمة في دمشق في منطقة باب شرقي إلى الآن، وكذلك قام الكاثوليك أيضاً بضم حارة القرائين إلى كنيسهم وذلك في عهد إبراهيم باشا المصري وذلك اعتماداً على السياسة التسامحية مع المسيحيين التي اتبعها إبراهيم باشا في الشام، ولكن هذا الأمر أثار خلافاً بين علماء المسلمين حول أحقية امتلاك الكاثوليك لهذا الحي^(*).

وعُرفت في دمشق في القرن التاسع عشر أربع طوائف يهودية وهي: الريانيين والقرائين والسامرة والمستعرب وكان لكل طائفة من هؤلاء حي خاص بها في دمشق، وأطلق على كل حارة اسم الثلاث^(١)، وطبعاً كان لكل من هذه الطوائف الكُنس الخاصة بها في المدينة ولكن لم تذكر لنا المصادر سوى الكُنس السابقة الذكر وذكر نعمان القساطلي أنه كان في دمشق كُنس لأتباع فرقتي (الريانيين والسامرة)، وخصص هؤلاء في كل بيت من بيوتهم حجرة كبيرة للعبادة، وكانت كنسهم العامة عديدة ومنتشرة في أحيائهم، وأشهرها كنيس سوق الجمعة وكنيس جوبر (سابق

(*) كان لليهود القرائين في دمشق كنيس في الحي المعروف اليوم بحارة الزبون، وبقي حتى قدوم إبراهيم باشا المصري إلى دمشق سنة (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، ولم يكن في ذلك الوقت من بقايا القرائين سوى رجل واحد يقال له المعلم إبراهيم ولد موسى فضول النجار القدسي، وهو الناظر على أوقافهم). فاشترى منه الروم الكاثوليك في تلك السنة موضع الكنيس وما حوله من الدور والأبنية وأقاموا في مكانها كنيسهم الكبرى المعروفة باسم سيدة النباح وحضر المبيع الخاخام إبراهيم لبولي الإسلامبولي نائباً عن طائفة القرائين في الآستانة والفرم ومصر، وتم العقد في أواسط جمادى الأولى سنة (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، وبيع هذا الكنيس انقراض وجود فرقة القرائين في دمشق.

عبد، مرجع سابق، ص ٩٨.

(١) غرايبة، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٢) عبده مرجع سابق، ص ٩٨، وانظر: نعيمة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٢، ٣٤٣.

الذكر) وهو أقدمها^(١). وكان هناك كنيس لليهود السامرة في حارة العنابة بالقرب من برج الروس^(٢).

وأما أوقاف اليهود فكانت محدودة في دمشق وذلك لقلة عددهم فيها وجل أوقافهم كانت خيرية ومحبوسة على كنيسهم في قرية جوبر، وكان المسؤول عن هذه الأوقاف سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) سبتة بن يوسف أرازي. والذي يُعين من قبل طائفته أمام القاضي، وكذلك وقف يعقوب اليهودي وكان ناظرًا عليه في سنة (١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) يعقوب إسحاق وبهذا فقد كان لليهود في دمشق أوقاف أهلية وغير أهلية، سجلت جميعها في محاكم دمشق^(٣).

كان لكل حارة يهودية في دمشق شيخها وإمامها وهو صلة الوصل بينها وبين السلطة الحاكمة في المدينة، وكان مجلس الحارة يمثل حكومة محلية في الحي، وكانت الدولة تستعين بهذا المجلس لجلب المطلوبين في الحي أو تحصيل حقوقها^(٤).

وشهد القرن التاسع عشر نهضة عمرانية لبيوت اليهود في دمشق كان من أهمها بيت يوسف أفندي عنبر، لم يكن له نظير في دمشق ولا يزال قائماً إلى الآن (مكتب عنبر) الذي تحول فيما بعد إلى أول مدرسة ثانوية في دمشق، تخرج منها أعيان سوريا في العلم والتربية، وأصبح الآن تابعاً لمحافظة دمشق. ومن البيوت اليهودية الفاخرة أيضاً بيت الخواجه اسلامبولي وبيت شمعايا وبيت الخواجه لزبونا^(٥).

وأما المقابر اليهودية، فكان في دمشق مقبرتان، الأولى بالقرب من مقام بلال الحبشي وإلى الغرب من مقابر المسيحيين خارج أسوار دمشق، والثانية تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الأولى (وقسمت مقابر اليهود فيما بينهم حسب طوائفهم)^(٦).

(١) عبده، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩.

(٢) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) عبده، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

(٤) عبده، مرجع نفسه، ص ١٠.

(٥) عبده، مرجع نفسه، ص ١١.

(٦) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٢.

واستخدم اليهود في دمشق اللغة العبرية في الكتابة على قبورهم، واستخدموا التقويم العبري في تاريخ الوفاة، وأنزلوا الميت في لحد واحد ونقشت نجمة داود على شواهد قبورهم وصورة أداة تدل على الحرفة التي كان يمارسها المتوفى وقد ينقش صورة الشمعدان المقدس ذي الفروع التسعة التي تمثل وصايا موسى عليه السلام. ويدفن الميت رأسه نحو الشمال وقدماه نحو الجنوب. ولقد أقام اليهود ضمن المقبرة الخاصة بهم كنيساً صغيراً لإقام الصلاة الجنائزية فيها^(١).

الحياة الاجتماعية لليهود في دمشق في القرن التاسع عشر:

بالنسبة للغة فقد استخدم اليهود اللغتين العربية وهي لغة الحياة اليومية، والعبرية التي استخدمت للدلالة على التواصل الديني والروحي مع معتقداتهم. وذكرنا كيف كانوا يكتبون على شواهد القبور بالعبرية وتليت الصلوات كذلك باللغة العبرية. ولقد استخدم بعض صيارفهم اللغة العبرية في كتابة السجلات المالية في ولاية دمشق، حيث كان أغلبهم يعملون في مهنة الصرافة في الدولة، وكانت الغاية وراء ذلك هي إجبار ولاية دمشق على عدم الاستغناء عن خدماتهم في هذا المجال، وليتحكموا باقتصاد الولاية^(٢) وكان لليهود دمشق لكنة خاصة في نطقهم العربية، يمكن التعرف عليها من قبل الغير أن ناطقها يهودي. واستخدموا عبارات عبرية في سلامهم، خاصة يوم السبت^(٣).

أما بالنسبة لأزياء اليهود فالمتعارف عليه أن تكون المرأة محجبة ولو أنها يهودية لغاية القرن التاسع عشر، ولكن باختلاف عن أخواتها المسيحيات والمسلمات، حيث كانت ثياب اليهوديات تختلف فقط باللون حيث قيُدن بلون خاص بهن، ولبست اليهوديات أيضاً الإزار عند خروجهن من بيوتهن ويتركن إحدى الذراعين حرة^(٤).

(١) نعيصة، مرجع سابق ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.

(٢) نعيصة، مرجع سابق، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) عبده، مرجع سابق، ص ١١.

(٤) عبده، مرجع سابق، ص ١١.

وارتدى اليهود حتى نهاية القرن التاسع عشر قبعات حمراء بدون حواف على رؤوسهم، ولكن صدر فرمان من الدولة العثمانية أجبر اليهود ارتداء القبعات الزرقاء على أن يبقى الشاش أحمر، وألزم اليهود القراؤون الريانيون باللون الأصفر، وعلى المرأة ارتداء الإزار الأصفر، ولكن سرعان ما سعى اليهود لاستخلاص فرمان سلطاني يعفيهم من الالتزام بهذا الزي. وخاصة بعد أن وضعوا أنفسهم تحت حماية القناصل الأجانب وأصبحوا يتزينون بالأزياء الأوروبية^(١).

وساهم اليهود في وظائف الدولة في الولاية فكان هناك تمثيل دائم لهم في مجلس الولاية ووظائف أخرى حددها الدستور.

ولقد استفاد اليهود الدمشقيون كثيراً من سياسة التنظيمات التي انتهجتها السلطة العثمانية تجاه غير المسلمين، فقد أتاحت لهم هذه السياسية فرصة استغلال حالة الازدهار الاقتصادي بحرصهم على تعلم اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والإنكليزية وهو ما أتاح لهم فرصة التوسع في أنشطتهم التجارية، ولقد شكلت الصيرفة عمود عمل اليهود في دمشق كما هو الشأن في سائر بلدان العالم المتواجدين بها^(٢).

وعمل اليهود أيضاً في المهن اليدوية أو التجارية وبرعوا فيها ولم يأت منتصف القرن التاسع عشر إلا وكان تجار دمشق اليهود من أغنى تجار المدينة على الإطلاق. فبينما كان للمسيحيين ٢٩ بيتاً بلغ عدد البيوتات التجارية اليهودية الشهيرة ٢٤ بيتاً رأسمالها قرابة خمسة ملايين فرنك^(٣). فقد تمتع اليهود في بر الشام عامة ودمشق خاصة بنفوذ تجاري كبير فقد سيطروا على تجارة صفد ودمشق ولعبوا دوراً بارزاً في حلب وبيروت وعكا وحيفا، كما سيطروا على تجارة دمشق مع إيطاليا^(٤). وحتى مع دخول الامتيازات التجارية الأوروبية إلى البلاد العثمانية كان لليهود النصيب الأوفر من الأرباح والمعاملات التجارية مع الغرب وخاصة مع الإنكليز ولم يأت النصف الأول من القرن

(١) عبده، مرجع نفسه، ص ١١-١٢.

(٢) عبده، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣) عبده، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٤) غرابية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

العشرين - إلا وكان اليهود أصحاب اليد العليا في كل المجالات المتعلقة بالأموال والتجارة الدولية - وكانت علاقاتهم قوية مع القنصليات الأجنبية وخاصة البريطانية^(١). وأشهر أسرتين لعبتا دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية والإدارية في دمشق هما: آل فارحي (مراد ونسيم فارحي) وأسرة السكرج^(٢).

ولكن على العموم كان يهود دمشق في أقل ممارسة للتجارة عن غيرهم من يهود المنطقة، فيهود حلب مثلاً عمل معظمهم بالتجارة^(٣). فيهود دمشق لم يكونوا على سوية واحدة من الثراء المادي والنفوذ السياسي. ولم يكن إلا القليل منهم يملك رأسمال المال الكبير ويعمل بالتجارة، في حين كان قسم كبير منهم يعمل في حرف متواضعة بل محتقرة في دمشق (كالبوجية والمغنيين في المقاهي أو المعززين لحفريات قاذورات المساكن والبيوت أو الجامعين للخرق من المزابل وأقنية الماء والحارات وكان منهم السمكري (لحام التت) وبياع الأقساط المصنوعة من الحديد في أسواق من دمشق)^(٤). واشتغل يهود دمشق أيضاً بصناعة الأقمشة والحدادة وفي مجال المنسوجات والخياطة، وبرز يهود دمشق بصفة خاصة في مجال صناعة الأدوات النحاسية، وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى كان ٤٠٪ من يهود دمشق يعملون كباعة جوالين واشتغل ٢٠٪ منهم عمالاً وخاصة في مجال صناعة الأدوات النحاسية واشتغل ٢٥٪ منهم بالتجارة و ١٠٪ من الفنانين والمعلمين وعاش ٥٪ منهم على التبرعات^(٥).

أما عن علاقات اليهود الاجتماعية مع بقية الطوائف الأخرى في دمشق فقد كانت محدودة جداً، وقد حصل اليهود مع بدايات القرن التاسع عشر على حماية الدول الأجنبية كما أسلفنا فأصابهم نصيب من المدارس التي أحدثت من قبل البعثات التبشيرية البروتستانتية (خاصة) فأحدثت مدرسة لبنات اليهود حوت (٤٠ طالبة) وكان

(١) عبده، مرجع سابق، ص ٦٧، ٦٨.

(٢) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٧.

(٣) عبده، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٤) نعبسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٥) عبده، مرجع سابق، ص ٦٩.

المدرسون من الأجانب من أصول أمريكية وذلك سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)^(١)، وأُسست مدرسة الإليانس الفرنسية في دمشق سنة (١٢٧٣هـ/١٨٦٥م) ومدرسة أخرى لليهود للبنين (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) وللبنات سنة (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) ومدرسة أخرى في دمشق سنة (١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، التحق بها المئات من تلاميذ اليهود، وشكل الطلاب اليهود في المدارس بشكل عام في بدايات القرن العشرين حوالي ٢١ ٪ من نسبة الطلاب السوريين^(٢).

أما أشهر الأسر اليهودية في دمشق فهي: (آل هراري - أبو العافية - شناعة - اللاطي - لنداوا - الفتال سلانكي - لزيونا - فارحي - إسلام بولي - بيجوتو - نحماذ، شمعة - كومان - شحادة - قوشة - كوارع - الأزمرلي - أوديكا - دويك - خطوط - زقزوق - ميرو - الشماع - مراد - اللاوي - الترك - الرمانة - الحلبي). وهذه الأسر تعود إلى أصول مختلفة محلية وأجنبية فال فارحي من أصل أندلسي هاجروا خلال فترة حوادث التفتيش في إسبانيا^(٣). والبعض الآخر جاء دمشق في مراحل متأخرة نتيجة الهجرة اليهودية التي شجع عليها السلاطين العثمانيون إلى الدولة العثمانية^(٤).

ولكن لم تأت نهاية القرن التاسع عشر إلا وقد أصبح اليهود أغنى أبناء دمشق على الإطلاق وأصبح لهم نفوذ الكلمة لدى ولائها^(٥). وفي النصف الأول من القرن العشرين وصل الأمر باليهود السوريين إلى أن كانت لهم اليد العليا في كل المجالات المتعلقة بالأحوال والتجارة الدولية^(٦) وما إن حلَّ القرن العشرون حتى بدأت الدعوات

(١) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) عبده، مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) تفيد المصادر التاريخية أن كل اسم ملون هو من أصل يهودي مثل (الأزرق، الأحمر، الأصفر، البني، الأبيض،... الخ) وتضيف المصادر قائلة: إن اعتناق هؤلاء اليهود للإسلام كانت نتيجة لدعوة سنباي زيفي (١٠٧٥هـ/١٦١٤م) الذي ظهر في أزمير وأدعى أنه المسيح المنتظر. لزيادة في الإطلاع تراجع عامر، محمود،

الماسونية ويهود التورنغ، ص ١١٢، ١١٣، ١١٤....

(٥) نعيسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٦) عبده، مرجع سابق، ص ٦٨.

توجه إلى يهود دمشق من أجل الهجرة والتوجه إلى فلسطين وخاصة بعد قيام الدولة الإسرائيلية المزعومة، فبدأ يتسرب العديد منهم بالسرا من المدن السورية متوجهاً إلى فلسطين، وفي سنة ١٩٩٣م سمحت سوريا لليهودها بالمغادرة، تعبيراً عن حسن نواياها تجاه السلام الشامل، وكان عددهم يقدر بحوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة يهودي. وعندما سمح لهم بالمغادرة سافر معظم يهود سوريا بعد أن صفوا أعمالهم قاصدين الولايات المتحدة الأمريكية. فيما قلة منهم هاجرت من هناك إلى إسرائيل. وقد تم كل ذلك بفعل الضغط الخارجي الذي مورس عليهم ليهاجروا، مع أن أعمالهم كانت مزدهرة في هذا البلد، ولم يتعرضوا لأي مضايقات في بلدهم سوريا، ولم يبق من اليهود السوريين في الوقت الحاضر سوى بضع عشرات من الأفراد، أغلبهم من كبار السن الذين لا يتحملون أعباء الهجرة إلى فلسطين مع كل الإغراءات التي قدمت لهم من الخارج^(١).

ويمكن القول في نهاية حديثنا عن الحياة الدينية في دمشق في المرحلة الحميدية نجد أنه سيطرت في هذه المرحلة فكرة الصوفية والتصوف على المنطقة بشكل عام وعلى دمشق بشكل خاص، حيث ازدهرت هذه الطرق وزاد مريدوها وتفرعت إلى الكثير من الطرق الأصلية في دمشق إلى فروع جديدة انتسبت إلى مؤسسيها وأغلبهم كان من الأسر الدمشقية المشهورة، ولقد دعمت هذه الحركة من قبل السلطات العثمانية، وذلك لما كانت تقدمه هذه الطرق من التستر وإلهاء الشعب في المنطقة عن المشاكل الخارجية وتوجيه أنظار الناس للتعبد والتفكير وترك الدنيا لأهلها، وهذا على ما يظن دفع بشريحة كبيرة من سكان دمشق إلى التقوقع على أنفسهم وأخذ دور سلبي ضد الأحداث الجارية في المنطقة في تلك المرحلة الخطيرة.

أما بالنسبة للملل الأخرى فقد دخلت إليها بوادر التفتح والتمدن عن طريق البعثات التبشيرية الأجنبية التي بدأت تصد إلى المنطقة في تلك المرحلة وتلقى الرعاية والدعم من الدولة العثمانية بموجب الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة مع الدول الغربية. حيث سمحت لها هذه الامتيازات على إعلان الدول الأوروبية كل على حدة الوصاية

(١) عبده، مرجع سابق، ص ٤١.

على ملة من الملل في الشام ورعايتها لها واعتبرت نفسها الوصية الشرعية عليها، وعملت هذه الدول على نقل صراعاتها فيما بينها إلى هذه الفئات ونجحت في كثير من الأحيان في إشعال الفتن في المنطقة وإثارة الثورات فيها ضد الحكم العثماني أو ضد بعضها البعض، نتج عنها في كثير من الأحيان مذابح حقيقية في دمشق. ولكن من إيجابيات هذه الوصاية أنه كان لغير المسلمين في دمشق النصيب الأوفر من نشر العلم والمعرفة فيما بينها وبناء المدارس الحديثة حيث خرجت هذه المدارس أوائل الثائرين والمتتورين العرب وخاصة في دمشق والذين أصبحوا فيما بعد أبطال ورموز النهضة العربية الحديثة في القرن العشرين.